الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف المسيلة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم الفلسفة

العنوان

العلوم الشرعية والعقلانية عند ابن رشد

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد الطالبة:
سامية خرشي

إشراف الدكتور:
لخضر حميدي

السنـــــة الجامعيـــــة: 2019/2018

شكر وتقدير

مهما تقدّمنا وفتِحت أمامنا سُبل طلب العلم ووصلنا لِكل ما نحلُم به، علينا أن نتذكر فضل من كانوا سببا في نجاحنا، وسندا لنا للاستمرار، مَن بوجودهم تحفزّنا وتشجعّنا، فمهما عبّرنا لهم فالكلمات قليلة، لهذا أقدّم لكم هُنا أجمل عِبارات الشكر والتقدير؛

الشّكر وكل التقدير للأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور" **حميدي لخضر**" أطال اللّه عُمره، على كُل ما أخذنا من عِلمه وأخلاقه وتواضعه، فمهما نطقت الألسن بأفضالها ومهما خطت الأيدي بوصفها ومهما جسّدت الروح معانيها ستظلّ مقصّرة أمامكم ...أسعدك المولى وجعل ما تقدّمه في ميزان حسناتك؛

كما أتقدم بالشُكر الجزيل لكل من ساندني ولو بالكلمة الطيبة منذ بداية إعداد هذه المذكرة، مِن أساتذة قسم الفلسفة بجامعة محمد بوضياف المسيلة؛

كما أخص بالشُكر أيضا الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة العلمية لهاته المذكرة، لتفضلهم بمناقشة هذه المذكرة وإثرائها.

إهداء

إلى كل من يصلي على أفضل خلق الله، محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم.

إلى كل فكر خالص للعلم من أجل العلم وكفى.

إلى كل نفس عظيمة تواقة إلى الحكمة والمعرفة.

إلى كل قلب عاشق نابض بحب الأخوة والعفة والثقة الصارمة.

إلى كل عقل حصين تواق إلى البحث.

إلى المرأة التي أقدسها كما يقدس العالم علمه، منبع حياتي ومصدري المستديم للصبر والتضحية أمي الحبيبة "حدة " أطال الله في عمرها.

إلى الرجل الذي أمدني بالعزيمة والإرادة والثقة بالنفس، إلى من تعب حتى وصلت إلى ما أنا عليه اليوم أبي الحبيب " بلقاسم "أطال الله في عمره.

إلى أجمل ألحان عمري إخوتي وأخواتي وذويهم وجميع أهلي وأقاربي وإلى كل من أكن لهم ويكنون لي كل الحب والاحترام والتقدير.

سامية

لقد أصبحت العودة إلى الفكر الفلسفي عامة والعقلاني خاصة في زماننا هذا أمرا مهما ومطلوبا بل وحتمي، لمواجهة تفشي مظاهر الفكر اللاعقلاني بأنواعه العديدة والمختلفة كالأسطورة بتعددها وغير ذلك من أنواع الاستلاب الفكري والثقافي، وإنطلاقا من هذا بات اهتمامنا بفيلسوف قرطبة "أبو الوليد إبن رشد" أمرا حتميا، وفي الحين نفسه شهدت فلسفته انتشارا كبيرا بل يمكن القول انها نجحت نجاحا باهرا في أوربا المسيحية.

في البداية أقول أن نكبة إبن رشد المعروفة والشهيرة لفيلسوف قرطبة هي في أساسها نتيجة لاستعمال العقل في فهم النصوص الشرعية بل ولتمسكه به وهذا على الرغم بعلمه لما وقع للمعتزلة قبله من بطشه واضطهاد لاستعمالهم العقل في المسائل الحساسة والشائكة متمسكا دائما بالمنهج العقلي. أما فيما يخص تمظهر العقلانية الرشدية في العلوم الشرعية فإننا نجد إبن رشد تناول العديد من المسائل: كمسألة الجوهر الأول، وقدم العالم، والسببية، وإنطلاقا من مسألة التأويل والتي كانت من صميم الشريعة الإسلامية على أساس أن العقيدة تسمح بالتأويل.

واعتمادا على ما سبق صممت أن يكون موضوع مذكرتي لنيل "شهادة الماستر" منذ فترة حول فيلسوف قرطبة "إبن رشد" هذا الأخير الذي يعتبر بحق في اعتقادي رائد الفلسفة التنويرية أو العقلانية في عالمه العربي الإسلامي وعلى هذا الأساس تبدو التساؤلات التي أريد معالجتها على النحو الآتي:

1. كيف قرأ وفهم إبن رشد العلوم الشرعية؟
2. وفيما تتمظهر هذه العقلانية الرشدية في العلوم الشرعية؟

وقد اعتمدت في بحثي هذا على خطة شملت مقدمة ثلاثة فصول وخاتمة والتي بدورها تتضمن مختلف النتائج المتعلقة بموضوعي هذا، حيث جاء الفصل الأول موسوما بـــ:

1. أصول فلسفة ابن رشد أين تناولت فيه:

- المرجعية الإسلامية
- المرجعية اليونانية(عامة)
- المرجعية الأرسطية (خاصة).

حيث وضحت في (المرجعية الإسلامية) كيف أن فيلسوف قرطبة نشأ في بيئة إسلامية وفي أسرة دينية مارست الفتوى والزعامة الفقهية، فجده كان شيخ المالكية وقاضي الجماعة وإمام جامع قرطبة، كما كان جده من كبار مستشاري أمراء الدولة المرابطية. أما والده فكان فقيها له مجلس يدرس فيه في جامع قرطبة، وله تفسير للقرآن في أسفار، وشرح على سنن النسائي وتولى القضاء في قرطبة عام 532ه.أما إبن رشد فدرس الفقه واستظهر كتاب الموطأ حفظا للإمام مالك على يد أبيه أبي القاسم أحمد بن أبي الوليد.

أما المرجعية الأرسطية فوضحت فيها كيف أنه درس بل ونهل من الفكر الفلسفي اليوناني (عامة) ومن المعلم الأول "أرسطو" (خاصة) وأقر بأن لا خوف على الشريعة منه، ومن إستعمال المنطق والعلم لكونها شريعة عقلانية في ماهيتها.

أما الفصل الثاني فجاء موسوما بـــ:

تمظهر القراءة العقلانية الرشدية في العلوم الشرعية حيث وضحت فيه مظاهر العقلانية الرشدية في العديد من المسائل المعقدة والأكثر حساسية ألا وهي:

- مسألة التأويل
- مسألة الجوهر الأول
- مسألة قدم العالم
- مسألة السببية

وانطلاقا من مسألة التأويل والتي بدورها أقرتها الشريعة الإسلامية في قوله تعالى: ﴿... وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ سورة آل عمران الآية 7.

كما نلتمس ذلك في دعاء الرسول صل الله عليه وسلم لابن عباس حيث قال: ﴿**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**﴾. خاصة وأن الشريعة يصح اعتقادها في صور شتى تبعا للقراءات العديدة والمختلفة، وكذلك فتحها لباب الاجتهاد التي جعلت منه ضرورة لا يمكن الاستغناء عنه. فأصبحت صالحة لكل زمان ومكان

أما الفصل الثالث والأخير فجاء موسوما بـــ:

أثر العقلانية الرشدية في الوقت الراهن في ظل العولمة التي جعلت من العالم عبارة عن قرية صغيرة. فبينت فيه كيفية ضرورة مراجعة أنفسنا والقيام بقراءة نقدية ذاتية، والوقوف أمام بعض المواقف المشددة التي تريد جر العالم العربي والإسلامي إلي صدام مع الغرب بدل التحاور معه. وهنا تكمن فائدة العقلانية الرشدية والتي يجب أن نعمل بها من خلال: ((عقلنة الوحي، ودينة العقل)) كما كان يفعل إبن رشد.

أما عن المنهج فقد سلكت في عملي هذا المنهج التحليلي تارة والمنهج النقدي تارة أخرى

2. محتويات البحث

أما عن صعوبات البحث التي صادفتها وأنا بصدد إعداد هذه المذكرة فقد لا أخفي عليكم نيتي في اتخاذ قرار الانسحاب حينما وصلت للفصل الثاني والذي وجدت فيه صعوبة كبيرة وكبيرة جدا خاصة في المسائل الصعبة والمعقدة إبتداءا بالجوهر الأول ومسألة قدم العالم إضافة إلى السببية وصولا إلى الـــتأويل ولكن الفضل الأول يعود لله تعالي، وإلى الأستاذ المشرف (لخضر حميدي) والذي دعمني بالمصادر والمراجع علاوة عن الدعم النفسي وبذلك، اتضحت الرؤية وتجلى الغموض فواصلت عملي وأتممته بحمد الله.

لقد أصبحت العودة إلى الفكر الفلسفي عامة والعقلاني خاصة في زماننا هذا أمرا مهما ومطلوبا بل وحتمي، لمواجهة تفشي مظاهر الفكر اللاعقلاني بأنواعه العديدة والمختلفة كالأسطورة بتعددها وغير ذلك من أنواع الاستلاب الفكري والثقافي، وإنطلاقا من هذا بات اهتمامنا بفيلسوف قرطبة "أبو الوليد إبن رشد" أمرا حتميا، وفي الحين نفسه شهدت فلسفته انتشارا كبيرا بل يمكن القول انها نجحت نجاحا باهرا في أوربا المسيحية.

في البداية أقول أن نكبة إبن رشد المعروفة والشهيرة لفيلسوف قرطبة هي في أساسها نتيجة لاستعمال العقل في فهم النصوص الشرعية بل ولتمسكه به وهذا على الرغم بعلمه لما وقع للمعتزلة قبله من بطشه واضطهاد لاستعمالهم العقل في المسائل الحساسة والشائكة متمسكا دائما بالمنهج العقلي. أما فيما يخص تمظهر العقلانية الرشدية في العلوم الشرعية فإننا نجد إبن رشد تناول العديد من المسائل: كمسألة الجوهر الأول، وقدم العالم، والسببية، وإنطلاقا من مسألة التأويل والتي كانت من صميم الشريعة الإسلامية على أساس أن العقيدة تسمح بالتأويل.

واعتمادا على ما سبق صممت أن يكون موضوع مذكرتي لنيل "شهادة الماستر" منذ فترة حول فيلسوف قرطبة "إبن رشد" هذا الأخير الذي يعتبر بحق في اعتقادي رائد الفلسفة التنويرية أو العقلانية في عالمه العربي الإسلامي وعلى هذا الأساس تبدو التساؤلات التي أريد معالجتها على النحو الآتي:

1. كيف قرأ وفهم إبن رشد العلوم الشرعية؟
2. وفيما تتمظهر هذه العقلانية الرشدية في العلوم الشرعية؟

وقد اعتمدت في بحثي هذا على خطة شملت مقدمة ثلاثة فصول وخاتمة والتي بدورها تتضمن مختلف النتائج المتعلقة بموضوعي هذا، حيث جاء الفصل الأول موسوما بـــ:

1.المرجعية الفلسفية لابن رشد أين تناولت فيه:

- المرجعية الإسلامية
- المرجعية اليونانية(عامة)
- المرجعية الأرسطية (خاصة).

حيث وضحت في (المرجعية الإسلامية) كيف أن فيلسوف قرطبة نشأ في بيئة إسلامية وفي أسرة دينية مارست الفتوى والزعامة الفقهية، فجده كان شيخ المالكية وقاضي الجماعة وإمام جامع قرطبة، كما كان جده من كبار مستشاري أمراء الدولة المرابطية. أما والده فكان فقيها له مجلس يدرس فيه في جامع قرطبة، وله تفسير للقرآن في أسفار، وشرح على سنن النسائي وتولى القضاء في قرطبة عام 532ه.أما إبن رشد فدرس الفقه واستظهر كتاب الموطأ حفظا للإمام مالك على يد أبيه أبي القاسم أحمد بن أبي الوليد.

أما المرجعية الأرسطية فوضحت فيها كيف أنه درس بل ونهل من الفكر الفلسفي اليوناني (عامة) ومن المعلم الأول "أرسطو" (خاصة) وأقر بأن لا خوف على الشريعة منه، ومن إستعمال المنطق والعلم لكونها شريعة عقلانية في ماهيتها.

أما الفصل الثاني فجاء موسوما بـــ:

تمظهر القراءة العقلانية الرشدية في العلوم الشرعية حيث وضحت فيه مظاهر العقلانية الرشدية في العديد من المسائل المعقدة والأكثر حساسية ألا وهي:

- مسألة التأويل
- مسألة الجوهر الأول
- مسألة قدم العالم
- مسألة السببية

وانطلاقا من مسألة التأويل والتي بدورها أقرتها الشريعة الإسلامية في قوله تعالى: ﴿... وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ سورة آل عمران الآية 7.

كما نلتمس ذلك في دعاء الرسول صل الله عليه وسلم لابن عباس حيث قال: ﴿**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**﴾. خاصة وأن الشريعة يصح اعتقادها في صور شتى تبعا للقراءات العديدة والمختلفة، وكذلك فتحها لباب الاجتهاد التي جعلت منه ضرورة لا يمكن الاستغناء عنه. فأصبحت صالحة لكل زمان ومكان

أما الفصل الثالث والأخير فجاء موسوما بـــ:

أثر العقلانية الرشدية في الوقت الراهن في ظل العولمة التي جعلت من العالم عبارة عن قرية صغيرة. فبينت فيه كيفية ضرورة مراجعة أنفسنا والقيام بقراءة نقدية ذاتية، والوقوف أمام بعض المواقف المشددة التي تريد جر العالم العربي والإسلامي إلي صدام مع الغرب بدل التحاور معه. وهنا تكمن فائدة العقلانية الرشدية والتي يجب أن نعمل بها من خلال: ((عقلنة الوحي، ودينة العقل)) كما كان يفعل إبن رشد.

أما عن المنهج فقد سلكت في عملي هذا المنهج التحليلي تارة والمنهج النقدي تارة أخرى

2. محتويات البحث

أما عن صعوبات البحث التي صادفتها وأنا بصدد إعداد هذه المذكرة فقد لا أخفي عليكم نيتي في اتخاذ قرار الانسحاب حينما وصلت للفصل الثاني والذي وجدت فيه صعوبة كبيرة وكبيرة جدا خاصة في المسائل الصعبة والمعقدة إبتداءا بالجوهر الأول ومسألة قدم العالم إضافة إلى السببية وصولا إلى الـــتأويل ولكن الفضل الأول يعود لله تعالي، وإلى الأستاذ المشرف (لخضر حميدي) والذي دعمني بالمصادر والمراجع علاوة عن الدعم النفسي وبذلك، اتضحت الرؤية وتجلى الغموض فواصلت عملي وأتممته بحمد الله.

الفصل الأول

أصول فلسفة ابن رشد

1- المرجعية الإسلامية

2- المرجعية اليونانية عامة

3- المرجعية الأرسطية خاصة

تمهيد

إن الثراء الفكري للحياة الإسلامية كله يعود إلي الإسلام، به وبواسطة رجاله الذين خصبت آراؤهم الفلسفية والدينية والفقهية الأصولية واللغوية والصوفية والعلمية.

لهذا فإنه لا بد من دراسة تشمل وجهة النظر الفلسفية نحو القضايا الإسلامية وروادها الذين يعتبرون من النخبة أو بمعنى آخر فلاسفة الإسلام الذين تمكنوا من الإطلاع ومعالجة مختلف المواضيع الفلسفية وإبداء الرأي تارة والجدال تارة أخرى سواء أكان من حيث النشأة أو التطور أو الوجود أو الجوهر الأول أو العالم أو غير ذلك ومن أبرز رواد هذا الفكر الفلسفي الإسلامي نجد إبن سينا والفارابي وابن رشد فهؤلاء يعتبرون من المبدعين الذين انطلقوا لتأسيس حضارتهم الإسلامية وفق منظور فكري جديد هذا ما تثبته الروايات عنهم. في الحين نفسه نجد من يبرهن على أن الفكر الإسلامي ليس إبداع وإنما سمته التقليد الأعمى مبررين ذلك تأثر فلاسفة الإسلام بالفكر الفلسفي اليوناني. وهذا ما حاول دائما المستشرقين إثباته. ومن خلال هذا فإننا نجد أن الفلسفة آنذاك قد بلغت ذروتها وأصبحت علما مشاعا، اقتحم مضامره حتى أولئك الذين لم تتوفر فيهم صفات الفيلسوف ولذلك فإن الفيلسوف الحقيقي يجد نفسه أمام مواجهة تيارين أولهما يعرض الفلسفة ويحاربها وثانيهما يدعي الفلسفة ويتطفل عليها فيسيء لها. هذه الحرية الفكرية التي أتاحت الفرصة للمبدعين والمتطفلين بأن يلبسوا لبوس الفلسفة، بلا شك بلورت تيارا مناهضا لهم، مما أدى إلى ضياع الفلسفة وانطفاء نورها.

وفي السياق نفسه فإننا نجد من فلاسفة اليونان من تصدى للفكر الفلسفي اليوناني ومن أبرزهم الغزالي الذي حصر التفكير إلا في الإطار الإسلامي ومنعه وأعتبر أن من تأثر أو طلب الفكر اليوناني فإنه كافر وخرج عن ملة الإسلام. مبررا هذا في إعتباره أن هذا سببا للتخلف من منظوره الخاص. في مقابل ذلك نجد ابن رشد الفيلسوف العقلاني ومبدع الفكر العقلي الحر هذا الفيلسوف الذي ترك للإنسانية مآثر علمية

استفادت منها بلاد الغرب التي بدورها تنعم بحضارته الراقية. نجده يعتقد بالقياس العقلي أو بمعني آخر أن التفكير لا يجب أن يكون محدودا بل علينا طلب المعرفة من الآخر(الغرب) مع القيام بالغربلة والتمحيص بعد الفهم وأخذ ما يمكننا أخذه وهذا بواسطة إعمال العقل.

كما يعتبر ابن رشد من الفلاسفة الذين بحثوا في الفلسفة وبدوره لم يهمل الحقول المعرفية الأخرى، إضافة إلى قيامه بمختلف المهام الرسمية مما ساهم إلى نقلنته وازدياد مكانته عند ملوك عصره. إلا أن كل هذه الإسهامات كانت بفضل البيئة التي ترعرع وتربى فيها فكانت لها دور كبير في بناء فكره الفلسفي الإسلامي ومن هذا المنطلق وللتطلع أكثر ومعرفة الحياة الفكرية والفلسفية والإسلامية لفيلسوفنا ابن رشد يحق لنا طرح التساؤل التالي:

1. كيف كانت البيئة التي ترعرع فيها ابن رشد؟
2. وماهي العوامل التي أثرت في فكره الفلسفي؟

وهذا ما سأعمل على تحليله في الفصل الأول مستعينة في ذلك على أهم مصدر من مصادر "إبن رشد " وهو" فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة وحكمة من الاتصال"

1- المرجعية الإسلامية لابن رشد

إن البحث في سيرة الفيلسوف الإسلامي (أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد ابن رشد) تجعلنا نقول أن سيرته الذاتية يمكنها أن تعتبر سيرة علمية بحتة ذلك أنه لاّ يتم ذكر ابن رشد إلاّ بذكر العلم والحكمة " **وهو الذي لم يدع النظر ولّا القراءة منذ عقل إلّا ليلة وفاة أبيه وليلة بناءه على أهله، وأنه سود فيما صنف وقيد وألف وهذّب وأختصر نحوا من عشرة آلاف ورقة** " [1] لقد نشأ هذا الأخير في بيت كانّ أهله "**إلي العلم أميل** "كمّا يقول من ترجموا لهذا البيت[2] ففي مدينة قرطبة وعلي أرض الأندلس وفي عهد نشطت فيه الحياة الثقافية، ونمّا التفكير الفلسفي تحت أنظار ورعاية الموحدين نشأ فيلسوف قرطبة، ولعل أحسن من عبرّ عن ذلك " محمد عابد الجابري ".

ولد القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد و**كنايته** "**أبو الوليد**" في قرطبة بالأندلس سنة **1126م_520ه.** عاش في عهد دولتي المرابطين والموحدين في أسرة تعد من أعرق الأسر الأندلسية. فكانت أسرة ابن رشد تعد من أكثر أسر الأندلس وجاهة. بحيث كانت تتمتع بتقدير عظيم في القضاء. فنجده تولى منصب القضاء في مدينة إشبيلية، ثم منصب قاضي القضاة المالكية في قرطبة عامة. وهو الحدث الذي يعرف بنكبة ابن رشد أو بنكبة الفلسفة في المغرب العربي.[3] ويعتبر توليه لمختلف هذه المناصب نتيجة لنشأته في الوسط العلماني، المتميز حيث درس الأصول والفقه على يد أئمة عصره واستظهر على أبيه أبي القاسم (**الموطأ**) وهو الكتاب الأساسي والمقرر" **لمذهب الإمام مالك**" وتعلم **علم الكلام** وتلقاه على يد علماء عصره من الأشاعرة فكانت

---

[1] عاطف العراقي، تجديد في المذاهب الفلسفية والكلامية، دار المعارف، ط4، 1979، ص 15.

[2] محمد عابد الجابري، ابن رشد سيرة وفكر دراسة ونصوص، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2001، ص11.

[3] عاطف العراقي، ابن رشد مفكرا عربيا ورائد الاتجاه العقلي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، د ط-القاهرة، 1993، ص21.

(الدراية أغلب عليه من الرواية) وله في **(معرفة الرواية** ما يندر **في غيره).** [1] ناهيك عن البيئة التي ترعرع فيها وهي بيئة إسلامية محضة، ذلك أنه إذا كان من المعلوم بالضرورة نظّر البعض أن دليل إيمان الرجل، اعتكافه على الصلاة في المسجد مع الجماعة، فإن فيلسوف قرطبة كان يرى فيها أيضا طهارة البدن، وصفاء السريرة، والنفس وفي هذا نجده يقول: "**الصلاة الموضوعة في سائر الشرائع، وهي كذلك في نظره هي أنجع في النهي عن الفحشاء والمنكر، كما شرط في عددها، وفي أوقاتها وأذكارها، وبسائر ما شرط فيها من الطهارة ومن التروك، أعني ترك الأفعال والأقوال المفسدة لها** "[2]

وهذا دليل على إيمانه علاوة على ذلك اقتدائه بأبيه وجده في علم التوحيد، على مذهب الأشاعرة والفقه على المذهب المالكي، حيث أثنى مترجموه على معارفه في الفقه ثناءهم في الطب والفلسفة تقريبا، كما كان من الأوائل في الإمامة دون أهل عصره مع الحظ الوافر من الإعراب والآداب. [3]

كما كان يحفظ شعر **أبي تمام (حبيب بن أوس الطائي 231هـ_ 840م)** وشعر **(أبي الطيب المتنبي 345هـ_965م)** ويكثر التمثل بهما في مجلسه ولم يكتفي الفيلسوف ابن رشد بما أخذه واستوعبه من **العلوم الشرعية.** بل كان يرى بأن العقيدة نفسها تدعو إلى التدبر والتفكر معتمدا في ذلك على قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ١٨٥﴾ [4]

---

[1] عبد الرحمان التليلي: ابن رشد الفيلسوف العالم، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، د ط، تونس، 1998، ص15.

[2] ابن رشد، تهافت التهافت، دار المعارف، جزء2، القاهرة، 1965، ص 87 وما بعدها.

[3] ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تحقيق مصطفي البابي الحلبي، القاهرة، 1960، ص 04.

[4] سورة الأعراف، الآية 185.

بل نراه ينتقل من تعلم الآداب والطب إضافة إلى دراسة الحكمة (الفلسفة) فكان اختياره لهذه الأخيرة. أولاّ واختياره لأرسطو طاليس ثانيا. **(فكانت له فيها الإمامة دون أهل عصره)** وهي التي أكسبته شهرة عند الناس قديما وحديثا.[1]

وهكذا فإن ابن رشد عاش في مجتمع مؤلف من جميع مشاهير عصره، على غرار ابن باجة وابن طفيل وغيرهم. لذّا فإنّ الأهمية البالغة التي اكتسبها إبن رشد من خلال مسيرته العلمية ودراسته الفلسفية والطبية هي التي أدت إلى شهرته الفائقة وأصبح من خلالها مطلوبا لدى ملوك عصره ففي عام (1153م_ 547هــ) دعّا أول الملوك الموحدين ابن رشد إلى مراكش ليساعده على إنشاء معاهد العلم هناك. وتعتبر هذه الفترة هي التي عاصر فيها إبن رشد الفيلسوف **(إبن طفيل أبو بكر محمد بن عبد الملك. 1185م_580هــ صاحب كتاب حي بن يقضان).** هذا الأخير الذي مهّد الطريق لفيلسوفنا في الاشتغال بالفلسفة كما كلفه بشرح كتب أرسطو وتفسيرها وهذا من أجل دفع الشك الذي كان يحوم حولها. ولمّا كان إبن رشد يقوم بهذه المهمة حيث انكب على دراسة كتب أرسطو وشرحها بكل جهد، من خلال أنه كان ملّما بمختلف العلوم والفلسفات خاصة فلسفة المعلم الأول بل وحتى في شروحه كان إسلاميا والدليل على ذلك ما يقوله: **حسن حنفي حسنين** " لم **يكن من أجل الشرح فقط ولم يكن مجرد عمل عقليا لّا هدّف له وإنمّا هو عمل موجه إلى عالمه العربي الإسلامي، ومن ثمة فهو يوجه شروحه وملخصاته للمخاطب في الشخص الثاني مما يدل على أن غايته كانت إيصال الحقائق إلى الغير وعلي وجه أخص حضارته الإسلامية ".[2]**

---

[1] عبد الرحمان التليلي، إبن رشد الفيلسوف العالم، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، د ط، تونس، 1998، ص16.

[2] حسن حنفي حسنين، إبن رشد شارحا لأرسطو، مجلة مؤتمر إبن رشد، د عدد، د بلد، 1978، ص61.

وهذا جواب على الذين يعتبرون أن كل الشروح الأرسطية التي قام بها إبن رشد ماهي إلاّ شروح علمية فلسفية أراّد من خلالها إعمال العقل وهذا من أجل غاية معينة، وهذه الغاية هي إيصال المعني الحقيقي لهذه الشروح دون التزييف فيها فكان بدوره يوجه هذه الشروح بشكل خاص إلى حضارته الإسلامية والتي أراد من خلالها الانفتاح على غيرها من الحضارات الأخرى. والدليل على ذلك ما أكده " **إتيان جلسون**" حينما قال: "**الحل أو بالأحرى الموقف المختفي في أعماق ضمير إبن رشد جعلته لم يخرج في كتاباته الشخصية عن المفاهيم العقائدية التقليدية للمجتمع الإسلامي، وهذا بالرغم من أن الوجه الفلسفي للحقيقة عنده كان يمثل أعلى نموذج من نماذج الحقيقة البشرية**".[1]

ورغم أن إبن رشد خلق في مجتمع تقليدي له مختلف عقائده ومبادئه، فإن قراءته واطلاعه على مختلف المذاهب لم تغير من وجهته، إضافة إلى تأثره العميق بالمعلم الأول، وهذا أيضا لم يؤدي به إلى الانصهار في البوتقة الأرسطية كلية، بل كان لا يسهو عن جانبه الروحي. وهذا الذي أشار إليه "**محمد عبد**" في قوله: "**إن إبن رشد رحمه الله لم يخرج في أراءه عن الماديين، فلا يصح أن يكون مذهبه مذهب الماديين ولا قريبا منه، بل هو إلهي، ومذهبه مذهب إلهي قاعدته العلم**"[2].

وعلى هذا الأساس يصبح العلم بدوره يشكل القاعدة الأساسية التي ينطلق منها إبن رشد ولكن في حدود الوحي والدليل على ذلك ما كان يقوله هو شخصيا: "**إن العلم المتلقي من قبل الوحي إنما جاء متتما لعلوم العقل ولأن كل ما عجز العقل عنه أفاده الله تعالى من قبل الوحي الذي هو رحمة للجميع.**" [3]

---

[1] حسن حنفي حسنين، إبن رشد شارحا لأرسطو، مجلة مؤتمر إبن رشد، د عدد، د بلد، 1978، ص61 ومابعدها.

[2] محمد عبد، مجلة المنار، القاهرة، 1922. ص65.

[3]إبن رشد، تهافت التهافت، دار المعارف، الجزء 2، القاهرة، 1965، ص 410 وما بعدها.

وإن كان بعض المستشرقين قد اعتبروا بأن إبن رشد ما هو إلا شارحا لفكر أرسطو. ومنهم" **أرنست رينان**" الذي بدوره بتر فكر إبن رشد حينما اعتبره مجرد شارح لأرسطو ليس إلا، والذي تلقي جوابا من "**محمد آركون** "حينما قال: "**إن كل مؤلفات إبن رشد، تبرهن لنا إلى أي مدى كان إبن رشد يريد أن يّظل مفكرا مسلما يتحمل فكريا بكل ثقافته الفلسفية والمعرفية العلمية المتوافرة في عصره، أقول يتحمل مسؤولية جميع المشاكل التي تولدت عن المقارعة بين الوحي القرآني، وبين الموقف الفلسفي المحّض الأكثر صرامة، لقد بتر المسيحيون اللاتينيون، وعلي رأسهم** "**أرنست رينان**" **فكر إبن رشد عندما لم يروا فيه إلاّ الشارح الأرسطي.** "[1]

وهذا يعني عناية واهتمام فيلسوف قرطبة بعقيدته ومن الذين أيضا تركوا بصمة في شخصية إبن رشد نجد، "**إبن باجة**" الذي كثيرا ما أشار إليه إبن رشد في مؤلفاته لهذا الفيلسوف (**أبو بكر محمد يحي المعروف بابن باجة. إبن الصابع وابن باجة الذي توفي عام 1138)**. وكانت صلته به صلة إعجاب وتقدير لمصنفاته الفلسفية. كما كانت بينه وبين الطبيب إبن زهر (أبو **مروان عبد المالك بن أبي العلاد المشهور عند اللاتين توفي عام1162م)** روابط مودة. كما ألف إبن رشد كتابه (**الكليات في الطب)** قصد بذلك "**إبن زهران** "الذي ألف كتابا في الأمور الجزئية لتكون جملة كتابيهما "**ككتاب كامل في صناعة الطب**"، ناهيك عن معاصرته للشيخ الأكبر صاحب وحدة الوجود المتصوف (**محي الدين بن عربي 1240م_560هــ)** وتبقى صلة إبن طفيل أبلغ وأبعد أثرا في توجهه الفلسفي الحق وبفضله حددت الفلسفة في بلاد الأندلس. [2]

---

[1] محمد أركون، إبن رشد رائد الفكر العقلاني والإيمان المستنير، مجلة علم الفكر الكويتية، عدد4، الكويت 1999، ص12.

[2] عبد الرحمان التليلي: إبن رشد الفيلسوف العالم، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، د ط، تونس، 1998، ص17.

ومن جهة أخرى نجد من الذين تأثروا بابن رشد وأخذوا عنه علوم الحكمة وتابعوه تلاميذه:

(أبي الحجاج يوسف بن طلموس 1223م_560هـ) صاحب كتاب "**المدخل لصناعة المنطق** "وهو ثاني شخصية **(بعد أمية بن أبي الصلت 529م_460هـ)** والتي اقتصرت على الاشتغال بالمنطق الأرسطي. كما نجد أيضا من تلامذته والذين تأثروا به حق التأثر، هو عبد الله بن محمد بن سحنون الندرومي. هذّا الأخير الذي أخذ ّصناعة الطّب عن معلمه إبن رشد...ولكل هؤلاء علوم وأسرار قد أخذوها عن إبن رشد. [1]

2- المرجعية اليونانية (عامة)

من المتعارف عليه أنّ الفكر الفلسفي اليوناني كان أنضّج فكر عرفته البشرية من حيث العمق والمنهج، حتى صار هذا الفكر الفلسفي بمثابة المحك الذي من خلاله نختبر ونحكم على هذا الفيلسوف أو ذاك، بل وصار المصدر والمرجع لكل فيلسوف، إذ تأثر الكثير من الفلاسفة به ومن بينهم إبن رشد، الذي تأثر كل التأثر بالمعلم الأول "**أرسطو**". وقد روي **المؤرخ عبد الواحد** على لسان أحد تلاميذ إبن رشد قصة تقديمه الأولى كما كان من عادة هذا الشارح أن يذكرها: " **لمّا دخلت على أمير المؤمنين أبي يعقوب وجدته هو وأبا بكر بن طفيل ليس معهما غيرهما، فأخذ أبو بكر يثني عليّ، ويذكر بيتي وسلفي ويضّم بفضّله إلى ذلّك أشياء لا يبلغها قدري، فكان أول ما فاتحني به أمير المؤمنين، بعد أن سألني عن اسمي واسم أبي ونسبي، قال لي: "ما رأيهم في السماء، يعني الفلاسفة، أقديمة هي أم حادثة ّ؟ [2]"، فأدركني الحياء والخوف، فأخذت**

[1] عبد الرحمان التليلي: إبن رشد الفيلسوف العالم، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، د ط، تونس، 1998، ص17.

[2] أرنست رينان: إبن رشد والرشدية، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، د ط، القاهرة، 1957، ص 30.

أتعلل وأنكر اشتغالي بعلم الفلسفة، ولم أكن أدري ما قرره إبن طفيل، ففهم أمير المؤمنين مني الروع والحياء، فالتفت إلى إبن طفيل وجعل يتكلم عن المسألة التي سألني عنها، ويذكر ما قاله أرسطو طاليس وأفلاطون وجميع الفلاسفة، ويورد مع ذلك احتجاج أهل الإسلام عليهم، فرأيت منه غزارة حفظ لم أظنّها في أحّد من المشتغلين بهذا الشأن المتفرغين له ولم يزل يبسطني حتى تكلمت، فعرف ما عندي من ذلك، فلّما انصرفت أمر لي بمال وخلعة سنية ومركب".[1]

إذا ما وجب تصديق ذلك المؤرخ وجدنا أن إقدام إبن رشد على شروحه لأرسطو نتيجة لرغبة يوسف وإلحاح إبن طفيل وفي ذلك نجد إبن رشد يقول: **"استدعاني أبو بكر بن طفيل يوما فقال لي سمعت اليوم أمير المؤمنين يشتكي من قلق عبارة أرسطو طاليس، أو عبارة المترجمين عنه، ويذكر غموض أغراضه، يقول:" لو وقع لهذه الكتب من يلخصها ويقرب أغراضها بعد أن يفهمها فهما جيدا لقرب مآخذها على الناس، فإن كان فيك فضل قوة على لذلك فافعل وإني لأرجو أن تفي به لما أعلم جودة ذهنك وصفاء قريحتك وقوة نزوعك إلى الصناعة وما يمنعني من ذلك إلا ما تعلمه من كبرة سني واشتغالي بالخدمة وصرف عنايتي إلى ما هو عندي منه" قال أبو الوليد: " فكان هذا الذي حملني على تلخيص ما لخصته من كتب الحكيم أرسطو طاليس"**[2].

فصاّر يتبعه ويقلده في كل شيء وهذا ما يؤكد عليه" **إبن سبعين** " حينما قال: **"إذا كانت أكثر كتب إبن سينا مؤلفة ومستنبطة من كتب أفلاطون، فإن إبن رشد كان مفتونا بأرسطو ومعظّما له ويكاد أن يقلده في كل شيء "** [3]

---

[1] أرنست رينان: إبن رشد والرشدية، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، د ط، القاهرة، 1957، ص 30.

[2] المرجع نفسه، ص 31.

[3] جميل صليبا، تاريخ الفلسفة العربية، دار الكتاب اللبناني، ط3، بيروت، 1973، ص 24.

إذا تأملنا ما قاله **(إبن سبعين)** خاصة في استعماله لكلمة **(مفتون)** ليتبين لنا الأثر البالغ والأهمية الكبيرة التي تركها أرسطو في إبن رشد وبما أن العديد من فلاسفة الإسلام كانوا قد تأثروا بفلاسفة العصر اليوناني. إضافة إلى التأثيرات التي تركها فلاسفة الإسلام في الغرب، حيث نجد إبن رشد عرف في الغرب بتعليقاته وشروحه لفلسفة وكتابات أرسطو والتي بدورها لم تكن متاحة لفلسفة الغرب باللغة اللاتينية السائدة في بلدانهم في العصور الوسطي وقبل عام **1100م** كان عدد قليل من كتب أرسطو في المنطق حيث ترجمت إلى اللغة اللاتينية على يد الفيلسوف المسيحي "**بوتيوس**". وبعدها إنتشرت الترجمات اللاتينية للأعمال الأخرى لأرسطو من اليونانية والعربية في القرن الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، إذ أصبح أرسطو أكثر تأثيرا على الفلسفة الأوربية المحدثة في ذلك الوقت. وبالتالي فإن إسهامات شروح إبن رشد التي ترجمت إلى اللاتينية في الغرب وعملت بشكل كبير على ازدياد تأثير أرسطو في بلدانهم. كما كان تأثير إبن رشد على الفلاسفة المسيحيين أمثال "**توما الإكويني**"، وفلاسفة اليهود أمثال "**موسي بن ميمون**" و"**جرسونيدوس**". وعلى الرغم من ردود الفعل السلبية من رجال اليهود والمسيحية على كتابات إبن رشد وبالرغم من هذا فان الفلسفة الرشدية كانت تدرس في جامعة باريس وجامعات العصور الوسطي. وظلت المدرسة الرشدية هي الفكر المهيمن في أوربا حتى القرن السادس عشر ميلادي، وهذا دليل على العقلانية أو الفلسفة التنويرية الرشدية.

3- المرجعية الارسطية (خاصة)

يعد **(أرسطو)** أكبر شخصية يونانية شغلت تفكير العرب، وقد أعجبوا به أشد الإعجاب خاصة من الناحية العقلية البحته مثل ما كان إعجابهم بأفلاطون من الناحية الروحية.

فقد حاول الكثير من هؤلاء الفلاسفة العرب والمسلمين دراسة فلسفة كل من المعلم الأول أرسطو على وجه الخصوص وكذلك رائد النزعة المثالية **(أفلاطون)**، محاولين بذلك التوفيق بينهما، وهذا ما فعله **(أبو نصر الفارابي)** مثلا في كتابه الجمع بينهما رأي الحكيمين. إلا أنّ الملاحظ هو أن فلسفة إبن رشد تميزت عن هؤلاء وانفردت بجملة من الخصائص والمميزات التي جعلته جديرا فعلا باسم الشارح لتفتحه على مختلف الثقافات الأجنبية والفلسفات المتعددة خاصة اليونانية منها إذ كان يبحث عن الحق والحقيقة أينما كانت والدليل على ذلك قوله: "**وينبغي لنا أن لا نستحي من استحسان الحق واقتناء الحق من أين أتي، وإن أتي من الأجناس القاصية عناد الأمم المتباينة** [1]" والمقصود بذلك أن أحق الحق أحق أن يتبع حسب إبن رشد وإنه ليس هناك ما يمنع الأخذ بها، حتى وإن كان فلاسفتها ومفكريها من غير الإسلام، رافضا زعم البعض أن الفلسفة تقود إلى الكفر، مؤكدا أن ليس لها علاقة بهذا الأمر، إنما هذا الأمر يتوقف على رؤية وتوجه من يتناول موضوعاتها. فلا عجب من أن يكون هذا رأي إبن رشد في الفلسفة اليونانية، وكأنه يجاري قول المصطفىﷺ ﴿ **الحكمة ضالة المؤمن أين وجدها فهو أحق بها** ﴾، ومن كتاباته يتضح تأثره الشديد بعظيمي اليونان أفلاطون. وأرسطو هذا الأخير الذي تولى مهمة شرح فلسفته ومختلف نظرياتها، حتى أطلق عليه اسم أهم شراح أرسطو هذه الشروحات التي استغرقت زمنا طويلا، حيث كان الهدف منها تبيان أعمال أرسطو، باستثناء كتاب واحد وهو السياسة، والسبب في ذلك عدم تمكنه من الحصول على نسخة منه، بل وإننا نجد إبن رشد قد صحح بعض الأخطاء التي سقط فيها من سبقوه إلى النظر في فكر أرسطو. إضافة أنه قام بتدريسها وتلقينها لمن عاصروه من فلاسفة ومفكرين. فبالرغم من الصعوبة البالغة التعقيد الذي يمتاز بها

[1] كتاب الكندي إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولي، حققه وقدمه وعلق عليه أحمد فؤاد الأهواني، دار إحياء الكتب العربية، ط1، ص 81.

الفكر الأرسطي، والتي قد فشل كثيرون من سبقوا إبن رشد في حل تعقيدها وشرح مضمونها بأسلوب مبسط. ولعلى هذا الذي ضاعف من قيمة عمله.

في عام (1184م_579هـ) وفي خلافة أبو يوسف بالمنصور أصبح إبن رشد الملقب بسلطان العقول والأفكار بحيث " **لا رأي إلاّ رأيه ولا قول إلا قوله** " وهذا ما أثار حسد الفقهاء الذين رموه بالكفر والزندقة، فتمكنوا من قلب الخليفة فنّقم الخليفة على إبن رشد[1] وما كان إبن رشد ليتحدث عنها لولا تأثره العميق بها خاصة وأنّ الفلاسفة أخرجوه من المسجد وهو ينوي أداء الصلاة جماعيا ناهيك أنّ الوفد الذي قدّم إلى المغرب يحمل ملف اتهام إبن رشد. وبما أنه لم يتمكن من مقابلة المنصور من قبل، فقد عادّ واتصل به عند مجيئه إلى قرطبة، بعد ذلك بسنة وعرض عليه ملف الاتهام، فاقتصر المنصور على استدعاء إبن رشد وتخصيه بذلك الاستقبال الذي تجاوز فيه المعهود في إبداء "**الاحترام والتقدير**". وعندما عاد المنصور من "**معركة الإرك**" عقد مجلسا في الجامع لمحاكمة إبن رشد ومن أتهم معه. وقد انتهت المحاكمة الصورية التي أهين فيها أبو الوليد بأنه أمر المنصور بنفيه إلى" **أليسانة**"، وهي قرية قرب قرطبة، حيث فرضت الإقامة الإجبارية عليه، كما أمر بنفي جماعة أخرى من " **الفضلاء الأعيان** " اتهموا بالتهمة نفسها إلى أماكن أخرى وهم: **أبو جعفر الذهبي، والفقيه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم قاضي بجاية، وأبو الربيع الكفيف، وأبو العباس الحافظ الشاعر القرابي.** وفي هذا قام المنصور بإصدار منشورا عممه على جميع بلاد المغرب والأندلس حيث يقول فيه: " **وقد كان في سالف الدهر قوم خاضوا في بحور الوهام، وأقرّ لهم عوامهم بشفوف عليهم في الأفهام...فخلدوا في العلم صحفا مالها من خلاق... بعدها عن الشريعة بعد المشرقين...يوهمون أنّ العقل ميزانها والحقّ برهانّها...ونشأ منهّم في هذه السمحة البيضاء شياطين إنس... فكانوا عليها أضّر من أهل الكتاب...لأنّ الكتابي يجتهد في ضلال... وهؤلاء جهودهم التعطيل... دبّت عقاربهم في الآفاق برهّة من الزمن، إلى أن أطلّعنا الله سبحانه منهم على رجال كان**

[1] عبد الرحمان التليلي: إبن رشد الفيلسوف العالم، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، د ط، تونس، 1998، ص18-19.

الدّهر قد سالمهم على شدة حروبهم...ومازلنا، وصلّ الله كرامتهم، نذكّرهم على مقدّار ظنّنا فيهم، وندعوهم إلى بصيرة على ما يقربهم إلى الله سبحانه وبدينهم". ثم يضيف منشور يعقوب المنصور الموحدي: "**فلما أراد الله فضيحة عمياتهم وكشّف غوياتهم، وقفّ لبعضهم على كتب مسطورة في الضّلال، موجبة أخذ كتاب صاحبها بالشمال، ظاهرها مرشح بكتاب الله وباطنها مصرح بالإعراض عن الله، لبس منها الإيمان بالظّلم، ويجيء منها بالحرب الزبون في صورة السلم، مذلة للأقدام، وسم يدّب في باطن الظّلام، أسياف أهل الصليب دونها مفلولة، وأيديهم عن ما يناله هؤلاء مغلولة، فإنهم يوافقون الأمة في ظاهرهم وزيهم ولسانهم، ويخالفوها بباطنهم وغيهم وبهتانهم... ولما وقفنا منهم على ما هو قذي في جفن الدين، وفلتة سوداء في صفحة النور المبين، نبذناهم في الله نبذ النواة وأقصيناهم حيث يقصي السفهاء من الغواة، وأبغضناهم في الله، كما كنا نحب المؤمنين في الله**"[1]

وبعد هذه التهم الخطيرة يأتي القرار، فيخاطب جمهور الناس خاصتهم وعامتهم، قائلا: "**فإحذروا، وفقكم الله، هذه الشرمذة على الإيمان، حذركم من السموم السارية في الأبدان. ومن عثر له على كتاب من كتبهم، فجزاءه النار التي بها يعذب أربابه، وإليها يكون مآل مؤلفه وقارئه ومآبه، ومتى عثر منهم على مجد في غلوائه، عّم عن سبيل استقامته واهتدائه، فليعاجل فيه بالتثقيف والتعريف... والله تعالى يطّهر من دنس الملحدين أصقاعكم، ويكتب في صحائف الأبرار تضّافركم على الحق واجتماعكم. أنه منّعم كريم** "[2]

بعد إحضار ملف الاتهام الموجه لابن رشد ومن معه وبعد الخطاب الذي أدلى به المنصور والذي من خلاه أمر بإحراق كتب الفلسفة " وعلوم الأوائل" إلاّ علوم الطب

---

[1] محمد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية محنة إبن حنبل ونكبة إبن رشد، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1190، ص19.

[2] محمد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية محنة إبن حنبل ونكبة إبن رشد، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1190، ص120–121.

والحساب والفلك. وبهذّا تفرق تلاميذ أبو الوليد أيدي **سبأ**. ويضيف راوي الخبر قائلا: **"ثم إن جماعة من الأعيان بإشبيلية شهدوا لابن رشد على غير ما نسب إليه"**. فرضي عنه المنصور وعن سائر الجماعة وذلك سنة خمس وتسعين وخمسمائة وهذه السنة التي توفي فيها الرجلان كليهما.[1]إلّا أنّه هنّاك من يقول بأنّ السبب الحقيقي لنكبة إبن رشد هو "**إختصاصه بأبي يحي أخي المنصور** " ونحن نرى أن من مظاهر هذا "**الاختصاص** "كتابه "**الضروري في السياسة** " الذي اختصر فيه جمهورية أفلاطون، والذي يخاطب فيه الشخصية الرسمية التي طلبت منه هذا الكتاب، **بقوله في خاتمته:** "**أعانكم الله على ما أنتم بصدده وأبعد عنكم كل مثبط بمشيئته وفضله**". ولّا يمكن أن تكون الشّخصية التي طلبّت منه "**الضّروري في السياسة** " **غير الأمير أبي يحّي** نفسه عندما بدأ في الدعوة الأولي بالأندلس إثر مرض المنصور (سنة 587هــ) وأيضا لا نعتقد أنّ ملف الاتهام الذي حمله معه الوفد القرطبي إلى المنصور كان شيئا آخر غير أوراق من هذا الكتاب وبالخصوص تلك التي يندد بها فيلسوف قرطبة باستبداد الحكام في بلده وزمانه، وفي سياق البحث عن السبب السياسي الحقيقي، نطالع شرح إبن رشد لآراء أفلاطون حول تحول الحكم الجماعي إلى حكم الطغيان.

يعلق إبن رشد قائلا: "ويمكن تبيين ذلك من خلال "الحكم الجماعي" أي {الديمقراطي} الذي عرفه زماننا، فهو ينقلب دائما إلى حكم طغيان. خذ مثلا على ذلك الحال التي كانت عليها بلدنا قرطبة بعد سنة خمسمائة هجرية، لقد كان الحكم فيها جماعيا ولكن انقلب بعد عام (540هــ) إلى حكم الطغيان"[2]

[1] محمد عابد الجابري، إبن رشد سيرة وفكر دراسة ونصوص، مركز دراسات الوحدة العربية، د ط، لبنان، 2001، ص 60_62

[2]محمد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية محنة إبن حنبل ونكبة إبن رشد، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، ص19 وما بعدها

ومن خلال هذا فإن هناك من يرى بأن الحكم السياسي الذي كان سائدا في عهد إبن رشد هو السبب الرئيسي الذي أدى به إلى مختلف الاتهامات التي وجهت له. ولهذا فان التحدث عن الجانب السياسي كان سببا رئيسيا وبالتالي تعتبر هذه الظروف هي التي أحاطت بنكبة إبن رشد. وفي مقابل ذلك أيضا هناك من يقول بأن الحرب التي كانت مع **الفتوس التاسع ملك فشتالة** يقال بأنها هي التي فرضت على الخليفة المنصور إرضاء شعبه ومؤازرته بأخذ ذلك الموقف على إبن رشد. بحيث أنه لما عاد الخليفة إلى مراكش وتحرر من كل الضغوطات فإنه عفّا عن إبن رشد واستقدمه إليه وأعاده إلى سالف نعمته. وصفوة القول إن إبن رشد: "**ما كان ليتأثر من هذه الحادثة، وما كان ليتحدث عنها، ويعتبرها أعظم شيء أصيب به في النكبة لو كانت فروض الدين لا تعنيه، ولو لم يكن تواجده معها في مستوي لروحها وأبعادها القصوى**[1]"

إلاّ أنّ هذه النكبة للأسف الشديد كانت قد أثرت على إبن رشد تأثيرا عميقا فلم يعمر طويلا بعد العفو إذ توفي في مراكش **عام (1198م -595هـ).**[2]

---

[1] لطفي جمعة، تاريخ فلاسفة الإسلام، القاهرة، ص 142 وما بعدها.

[2] القاضي أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد، فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة وحكمة من الاتصال، تقديم ألبير نصري نادر، دار المشرق، ط2، بيروت، 1989، ص2.

خلاصة

إن ابن رشد ورغم أنه ولد في مجتمع تقليدي له مبادئه وعقائده، فإن هذا لم يمنعه من القراءة والإطلاع على مذاهب غيره رافضا السيطرة الفكرية مطالبا بالتفتح على الآخر واخذ منهم مختلف العلوم. فنجد هذا الأخير بدوره قام بالاطلاع على الفلسفة اليونانية عامة والفكر الفلسفي الأرسطي خاصة "فلسفة المعلم الأول" إلا أنه في نفس الوقت لا نجده ينصهر كليا في بوتقة المعلم الأول بل علي العكس كان لا يسهو عن جانبه الروحي.

فابن رشد الفيلسوف الذي عمل على ترجمة الكتب الأرسطية والتي من خلالها أطلق عليه اسم الشارح الأكبر. فهو درس ودّرس علم الفلسفة وورث علمه لأجيال سابقة وأخرى لاحقة، فهناك منهم من آمن بفكره ومنهم من حاول عرقلته والإطاحة به وخاصة في تشكيكهم في جانبه الإيماني وهذا ما أدى إلى اتهامه ومحاكمته ونفيه والقيام بحرق كل كتبه الفكرية والفلسفية، مما أدى إلى تأثره تأثرا عميقا ولم يعمر بعد هذا طويلا.

ومن خلال هذا فإننا نستنتج أن فروض الدين لها أهمية بالغة وكبيرة عند ابن رشد فلو أنها لا تعنيه لما أصيب بنكبته الشهيرة.

الفصل الثاني

القراء العقلانية الرشدية للمسائل العقائدية الإيمانية

1. مسألة التأويل
2. مسألة الجوهر الأول
3. مسألة قدم العالم
4. مسألة السببية

تمهيد

لقد جعل إبن رشد من فلسفته منبرا يعبر به عن إيديولوجيا التنوير الإسلامي، والدليل على ذلك قراءته العقلانية وفهمه لكتاب القرآن الكريم كما يسميه هو وتأويله، والتي جسدت نزعته التنويرية ولأن: " **الشريعة يصح اعتقادها في صور مختلفة** [1]"

وهذا ما لم يكن متفقا آنذاك مع طغيان التفكير اللاهوتي، وأصبح رجال اللاهوت يرون في الرشدية الخطر الحقيقي عليهم أكثر من الفكر الفلسفي للمعلم الأول. وأود أن أشير هنا أنه إذا كنا نجد عند إبن رشد منهجا نقديا، فهذا يدل على مشكلة في الحقيقة بخصائص الفكر الفلسفي، وإذ لا يخفى علينا أن المفكر إذا أراد أن يقدم لنا فكرا فلسفيا، فإن هذا التفكير الفلسفي لا يبدو أن يقوم على أساس النقد لا مجرد المتابعة لآراء الآخرين، بمعني أصح أن المفكر لو كان متابعا لآراء الآخرين مقلدا لهم، فانه لا يستحق أن يسمي بالفيلسوف، ولا يصح أن نقول أنه يكتب في مجال الفلسفة وهذا ما ينطبق على إبن رشد فعلا. ومن هنا كما يقول عاطف العراقي: "**إننا إذا لم نميز بين إطار التجديد، وإطار التقليد، ونبتعد إبتعادا تاما عن إطار التقليد فسوف نظل في حالة سبات عميق ولن تنتهي حالة السبات هذه إلا بزلزال عميق يدك ارض التقليد دكّا، ويكون معبرا عن العقل ويحمل في طياته التجديد**"[2]

ولذلك لا غرو إذا وجدنا ابن رشد قد نقد أكثر الاتجاهات التي سبقته كالاتجاهات الكلامية والصوفية وإتجاهات الفلاسفة الذين سبقوه كالفارابي وابن سينا. فمن خلال مشكلة العقل الذي أحدث بها زلزال هزّ به أركان الفكر اللاهوتي التقليدي وطبع الفكر

[1] نايف بلوز، مجلة عالم الفكر، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد27، العدد4، 1999، ص27.

[2] محمد عاطف العراقي، تجديد في المذاهب الفلسفية والكلامية، دار المعارف، ط4، 1979، ص15.

الديني بالطابع العقلاني مما سمح بالقراءات العقلانية لكتاب القرآن الكريم، وظهور الحركات التنويرية والإصلاحية في العالم الإسلامي من جهة أخري.

ومن هنا يتبادر إلى أذهاننا السؤال التالي:

1.كيف قرأ إبن رشد لكتاب القرآن الكريم؟

2.وما هي هذه القراءة العقلانية؟

3.وكيف قدمها لعالمه العربي الإسلامي؟

وهذا ما سنعمل على تحليله وتبيانه في الفصل الثاني:

لقد كان موضوع الوجود في أبعد معانيه من المواضيع التي شغلت فكر الفلاسفة عبر التاريخ، سواء كان ذلك عند اليونان أو المسلمين أو المسيحيين أو اليهود ومن بين هؤلاء نجد إبن رشد الذي إهتم بكتابي المعلم الأول (تفسير ما بعد الطبيعة) و(رسالة السماع الطبيعي).

ولمعرفة العقلانية الرشدية نحاول أن نقترح نماذج، أعتقد أنها أساسية ومصيرية تعكس فعلا ماهية وكنية هذه القرارات ومن بين هذه النماذج نجد:

1. مسألة التأويل

2. مسألة الجوهر الأول أو الألوهية

3. مسألة قدم العالم

4. مسألة السببية

1- مسألة التأويل

يعتبر إبن رشد بحقه فيلسوف متميز، وهذا بما يتحلى به من كفاءات وقدرات علمية عالية خاصة وحينما سعى بكل قدراته وطاقاته للتوفيق بين الحكمة والشريعة خاصة وأنّ سيطرت اللاهوت كانت واضحة للعيان، حيث إنتشرت الكثير من المواقف والآراء تقّر بأنّ لاّ فائدة من علوم الفلسفة والمنطق متجاهلين أهمية الحكمة وغافلين عن أن كل رفض للفلسفة يحتاج إلى الفلسفة ذاتها.

وقد حدد ذلك بشكل جلي في كتابه (فصل المقال) وحينما وضّح أنّ غرضّه من هذا الكتاب أن يفحص: "على جهة النظر الشرعي" هل النظر في الفلسفة وعلوم المنطق مباح بالشرع، أم محظور، أم مأمور به إما الندب وإما على جهة الوجوب؟

وأول ما بدأ به تعريف الفلسفة فيقول:

"إن كان فعل الفلسفة ليس شيئا أكثر من النظر في الموجودات وإعتبارها من جهة دلالتها على الصانع، أعني من جهة ما هي مصنوعات، فإنما الموجودات إنما تدل على الصانع لمعرفة صنعتها"[1]

وهذا يعني أن فيلسوف قرطبة كان يحث على دراسة الفلسفة، بل يرى فيها طريقا لمعرفة الحق والحقيقة وهذا رغم ما تعرض له هو شخصيا من نكبة كما ذكرت سابقا، ورغم ما تعرض له أيضا الفكر الفلسفي لأن: " أي أمير مسلم في المغرب

[1] القاضي أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد، فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة وحكمة من الإتصال، تقديم ألبير نصري نادر، دار المشرق، ط2، بيروت، 1989، ص24

العربي كان يستطيع أن يضّمن سلامة وأمن من هو في حمايته من الفلاسفة ولكنه ما كان يستطيع أن يصد الهجوم على الفلسفة من جانب كل القوى التي تحاربها". [1]

ورغم كل هذا خاض (إبن رشد) في هذا المحيط الذي ربما يعرضه لما لا يحمّد عقباها.

إن إبن رشد وإنطلاقا من إيمانه بالعقل، وبأن النظر العقلي وإستعمال العقل في الدفاع عن الشريعة ليس بدعة، بل هو من صميم الشريعة، وهذا لأن الفقهاء إذا كانوا لّا يعتبرون القياس الفقهي بدعة حتى وإن كان مستوردا عن غيرنا (الفلسفة اليونانية والمنطق اليوناني) حيث نجده يقول في ذلك: "ننظر في الذي قالوه من ذلك، وما أثبتوه في كتبهم، فما كان منها موافقا للحق قبلناه منهم وسررنا به وشكرناهم عليه، وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرناهم منه وعذرناه"[2]

"ننظر في الذي قالوه من ذلك، وما أثبتوه في كتبهم، فمّا كان منها موافقا للحق قبلناه منهم ولسررنا به وشكرناهم عليه، وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرناهم منه وعذرناهم"

ويعني هذا أنه لم تكن له أي عقدة إتجاه الآخر اليوناني أو غيرهم، بل بالعكس كانت له نظرة واسعة الأفق متحررة متفتحة لأخذ العلوم أي كان مصدرها، فالعلم عالمي وليس هناك علم إسلامي أو علم مسيحي، أو علم يهودي (فالكهرباء مثلا كهرباء واحدة، ولا توجد كهرباء إسلامية وأخرى يهودية وثالثة مسيحية ...)

[1] زينب محمود الخضيري، أثر إبن رشد في فلسفة العصور الوسطى، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007، ص121-122.

[2] إبن رشد، فصل المقال، المكتبة المحمودية التجارية، القاهرة، 1935، ص13.

إذن في إستعمال العقل ودراسة الفلسفة والإجتهاد والتأويل كلها من صميم الشريعة الإسلامية قال تعالى: ﴿ ... وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ... ﴿٧﴾ ﴾ [1]

[سورة القصص، الآية 88]

لقد جعل إبن رشد من الفلسفة خادمة للشريعة كما جعل منها الأخت الرضيعة لها "الحكمة هي الأخت الرضيعة للشريعة" بل ولو لم يكن التأويل ضروري وصالح لكل زمان ومكان ما قال سيد الخلق رسول "الله صل الله عليه وسلم " في دعائه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قال: " **أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الخَلاَءَ فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا، قَالَ: (مَنْ وَضَعَ هَذَا؟)، فَأُخْبِرَ، فَقَالَ: (اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ) رواه البخاري، ومسلم.** ولا يتوقف إبن رشد في فلسفته التنويرية عند هذا الحد بل يذهب بعيدا حينما وضح كيف أنه إذا كان الأنبياء يصلّون إلى الحق عن طريق الوحي، فإنّ الفلاسفة يصلون إليه عن طريق العقل، ومن هنا كان إبن رشد يحث على إستعمال العقل في فهم العقيدة التي كرمت الإنسان بالعقل، كما أن الشريعة ذاتها تحتوي على ما يسمي بالمحكم والمتشابه، فالمحكم هو ما تّم الفصل فيه كالصلّاة التّي هي كتّابا موقوتّا على المؤمنين. "[1]

أمّا المتّشابه فهو القابل للتّأويل قال تعالى: ﴿... كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ... ﴿٨٨﴾ ﴾[سورة القصص، الآية 88]

وأيضا قَالَ تَعَالَى:﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ ... ﴿٦٤﴾﴾[سورة المائدة، الآية 64.]

ولذلك حاول فيلسوف قرطبة أن يدافع عن النظر العقلي والحرية الفكرية في مقابل الاستبداد ومضطهدي العقل، خاصة وأنّ لكل عصر مستجداته وإختراعاته،

[1] . زينب محمود الخضيري، أثر إبن رشد في فلسفة العصور الوسطى، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007، ص128.

وللتكيف مع ذلك لابد من أن نأخذ بالعلم من جهة، وبالتأويل من جهة أخري لأنّ الدّين الإسلامي دينّ عقلاني انطلاقا من عدم إقصاء الطرف الآخر، بل ومحاورته طبقا لقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [سورة آل عمران، الآية 64.]

هكذا نلاحظ إذن انفتاح العقيدة ذاتها حسب فيلسوف قرطبة على الغير في ذلك الوقت. فماذا يمكن القول اليوم في ظّل العولمّة؟

يجب علينا التّعامل مع الغّير وأخّذ ما يناسبنا ورفض ما يتعارض مع هويتنا كما يجب علينا محاربة مظّاهر الفكر اللاعقلاني كالسحري والخرافي وغير ذلك.

فالدين الإسلامي دين انفتاح، وحوار وتواصل وليس دين إنغلاق وابتعاد عن العقل والحكمة وهذا لا يكون إلا بالتأويل. وهذا أن إبن رشد فتح الباب على مصراعيه لكل من هبّ ودبّ، ولكن قال بأنّ التّأويل من اختصاص العلماء والحكماء انطلاقا من قوله تعالى: ﴿ ... وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ... ﴿٧﴾ ﴾[سورة آل عمران، الآية 7]

لقد كان يستعمل إبن رشد التأويل حينما يدرك قصور العقل وعجزه، ولا يلجأ إليه إلاّ فيما لا حيلة لنّا أمامه، وأخيرا فإن إبن رشد كان لا يخرج في تأويله عن الإعتدال والوسطية واضعا عقيدته من جهة وعقله من جهة أخرى إلى نشدان الحقيقة. [1]

[1] القاضي أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد، فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة وحكمة من الإتصال، تقديم ألبير نصري نادر، دار المشرق، ط2، بيروت، 1989، ص126

2- مسألة الجوهر الأول أو الألوهية

تعتبر من أهم المسائل، بل يمكن القول أنها مسألة المسائل إن جاز هذا التعبير بكون كل الموجودات الموجودة في الكون، بل الكون برمته يتوقف عليها هذه المسألة اختلف عليها الفلاسفة والمفكرين منذ القديم إلى يومنا هذا. ولو حاولنا إستقراء التاريخ لوجدنا كيف أن الفرنسي "**أوغست كونت** " أشار إلى المراحل الثلاثة التي مّر بها الفكر البشري أثناء تفسيره لوقوع الحوادث بحيث أرجع تفسير الظواهر الطبيعية إلى أسباب لاهوتية في بداية تفكيره ثم فسرها الإنسان تفسيرا ميتافيزيقيا وأخيرا تفسيرا وضعيا حينما تبين له أن ما يحدث في الوجود مصدره الوجود ذاته وليست قادمة من الخارج، غير أننا أثناء بحثنا عن العلة الأولي لا نستطيع أن نستمر في تتبع سلسلة الظواهر إلى ما لا نهاية فنضطر إلى الوقوف عند سبب أول نتخذه كمنطلق لسلسلة مختلف الظواهر وقد كان المعلم الأول يسميه بـــ(المحرك الأول).

والملاحظ في هذه المسألة ذلك الفرق الواضح بين الفئة المؤمنة والفئة الملحدة، فالمؤمنون يرون بأن مسألة الجوهر الأول بديهية من خلال مختلف الوقائع، كتعاقب الليل والنهار ودوران الأرض وظاهرة الموت معتمدين على القرآن الكريم مثلا عند المسلمين، وبالتالي لا يمكن البحث فيها لا بالحواس ولا بالعقل. والفئة الملحدة التي لا تؤمن أصلا بالجوهر الأول وتعتقد بأن ما يحدث في الوجود سببه أسباب وعلل موجودة في الوجود وليس خارجة عنه. [1]

إن الإنسان مثلا حسب أصحاب الكتب السماوية كائن عاقل، ولعل من الحكمة الإلهية أن لا يترك عقل الإنسان ضالا تائها مذهولا بل بعث له أشياء ورسل تهد به طريقه عن طريق الوحي الذي حو مصدر من مصادر العلم الذي يعجز العقل عن

[1] نايف بلوز، مجلة عالم الفكر، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد27، العدد4، 1999، ص257.

إدراكه، ولهذا كان القرآن بالنسبة للمسلمين مصدر يعلمنا الأمور الغيبية التي يستحيل أن ندركها بحواسنا أو عقولنا كمصير البشر بعد الموت مثلا، وبداية الخلق والفناء والساعة ...الخ.

وبذلك يقتدي الناس بالرسل الذين هم مبشرين ومنذرين من الحساب. فالله على هذا الأساس قد كفى العقل البشري عن البحث عن أمر يعلم أنه يتجاوز قدرات الإنسان.

هذه المسألة التي كفر فيها الغزالي إبن رشد مقتصدا أنه يحذو حذو المعلم الأول "أرسطو" من خلال برهان الحركة، وبرهان الحركة هذا ليس وقفا على الفكر اليوناني بل موجود أيضا في العقيدة الإسلامية في قوله تعالي: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠﴾ [سورة يس، الآية 40]

وقوله تعالى أيضا: ﴿ ... فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ...٢٥٨﴾ [سورة البقرة، الآية 258]

وهذا دليل على وجود حركة نحس بها يوميا وقد صدق (أبو العتاهية رحمه الله) حينما قال:

وفي كل شيء له آية *** تدل وتسكينة أبدا

والله في كل تحريكه *** شاهد على أنه أوحد

ولو تأملنا جيدا لتبين لنّا أنّ إبن رشد يختلف عن الأشاعرة وكذلك عن الصوفية وغيرهم الذين يقولون بالحدوث فنجده يحاول التوفيق بين القدم والحدوث بطريقته الخاصة، فطريق الصوفي هي الكشف أمّا طريق إبن رشد هو العقل. [1]

[1] القاضي أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد، فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة وحكمة من الإتصال، تقديم ألبير نصري نادر، دار المشرق، ط2، بيروت، 1989، ص126

ولذلك لا نستغرب رفض إبن رشد لغيره من الأشاعرة والصوفية وهذا لكونهم يفسرون المعرفة بنوع من الخوارق والعجائب، ولا يرتقي إلى مستوي الصورة البرهانية.

وعلي سبيل المثال (رؤية الله) نجد الأشاعرة يجيزون رؤية الله لقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة القيامة، الآية 22-23.]

أما إبن رشد فيرى بأن هؤلاء قد خلطوا بين إدراك العقل وإدراك البصر فالعقل إذا كان يدركها ليس من جهة.

فإدراك البصر لا يتم إلا بشروط محددة كالضوء واللون والجهة كما أنّ إبن رشد يرى بأنّ الأشاعرة ذهبوا إلى أنّ الوجود شرط لإمكانية الرؤية وهذا في نظره غير صحيح الجنة فيها ما لاّ عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال بشر. كمّا أنّ للشيء أسباب ضرورية تقتضي وجوده على الصفة التي هو بها ذلك النوع موجود، فليس هاهنا معرفة يختص بها الحكيم الخالق دون غيره، كما أنه لو لم تكن هاهنا أسباب ضرورية في وجود الأمور المصنوعة، لم تكن هناك صناعة أصلا، ولا حكمة تنسب إلى الصانع دون من ليس بصانع. وأي حكمة كانت تكون في الإنسان لو كانت جميع أفعاله وأعماله يمكن أن تتأتى بأي عضو، فيبصر بالعين، ويمكن أن يبصر بالأذن ويشم بالأنف، ويمكن أن يشم بالعين.[1]

والملاحظ أنّ إبن رشد كان قد أقرّ بدليلين أشرنا إليهما سابقا وهما دليلي:(الغاية والإختراع).

إنّ الحركة عند إبن رشد أمر طبيعي وتتحول من حالة العدم إلى حالة الوجود، وهذه الحركة لاّ تكون بدون محرك، بل تحتاج إلى محرك، وهو بدوره يحتاج إلى

[1] إبن رشد، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، تقديم وتعليق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2002، ص37.

محرك آخر، ولا يمكن أن تتسلسل الحركات إلى ما لاّ نهاية كما ذكرت سابقا وإنماّ يجب التوقف عند المحرك الأول والأخر الذي حرك الأشياء من العدم إلى الوجود لقوله تعالى ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ١٤ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ١٥ ﴾

[سورة الرحمان، الآية 14-15.]

وهناك إيجاد شيء من غير الأصل أي الإيجاد المطلق كقوله تعالى﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ... ٥٤ ﴾ [سورة الأعراف، الآية 54]

لقد كان الإنسان طفلا ثم يتحول شابا ثم يتحول كهلا ثم شيخا وهو لم ينقل نفسه من حال إلى حال، لأنه لو جهد أن يزيل عن نفسه الكبر والهرم ويردها إلى حال الشباب لم يمكنه ذلك. فدّل ما وصفنا على أنه ليس هو الذي ينقل نفسه في هذه الأحوال وأنّ له ناقلا نقله من حال إلى حال، ودبره على ما هو عليه، لأنه لا يجوز إنتقاله من حال إلى حال بغير ناقل ولاّ مدبر.

.وحتى فعل الخلق من العدم يستحيل أن يقوم به طرف آخر إلاّ سبحّانه وتعّالي، وبذلك فالله يتصف بالقدرة الخالقة المستمرة التي تحرك العالم بإستمرار ولو نتأمل الحياة والأرض نجد أن هناك أجساما جامدة تصبح حية، فنعلم أن هناك من أحياها وبث فيها الحركة وهذا ما نجده مثبت في كتابه عز وجل في قوله ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦ ﴾ [سورة النبأ، الآية 6-16]

وقوله أيضا: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝٣٠ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٢ ﴾[سورة عبس، الآية 24-32.]

وهذا يجرنا حتما إلى التصديق بوجود سبحانه وتعالى بأدلّة عقلية منصوص عليها كقوله تعالى ﴿... أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ... ۝١٠ ﴾ [سورة إبراهيم، الآية 10.]

وأيضا قوله تعالى﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٨ ﴾ [سورة البقرة، الآية 28.]

إذا كان كانط حينما تعرض للمعضلات المعروفة وهي (الله-النفس -الخلود) .[1]

[1] إبن رشد، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، تقديم وتعليق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2002، ص37.

وإعترف بإستحالة الإتفاق حولها بين إثنين ورأى أيضا بل ونصح العقل البشري بعدم البحث في هذه الأمور، لا لأنها غير موجودة أو لا حقيقة لها ولكن لعجز العقل البشري وقصورها عنها فإن إبن رشد نفسه يقر بهذه الحقيقة قبل كانط وغيره "ولعلك تعجب أشد الإعجاب إذا علمت أن إبن رشد قد أسدى هذه النصيحة قبل (كانط) بستة قرون وبضع سنين"[1]

هكذا واعتمادا على البرهان وتمسك فيلسوف قرطبة بالعقل، واعتماده أحيانا حتى على المنهج النقدي، فهو لم يكن إمّعة كماّ يقّال، بل مستقل لاّ يقول إلّا بما هو مقتنع به حتى في أهم مسألة ألاّ وهي الجوهّر الأّول.

3- قدم العالم

تعتبر مشكلة قدم العالم وحدوثه كما هو معلوم من المشكلات التي سايرت الفكر البشري منذ القديم حيث خاض فيها الفلاسفة والعلماء، ولأن هدف الفلسفة هو البحث عن الحقيقة في تجلياتها المطلقة وهدفها الأسمى هو الوصول إلى اكتشاف الحقائق المستترة وراء الظواهر الحسية كما يقول أفلاطون، أو هي اكتشاف العلل والمبادئ الأولي حسب أرسطو وإذا كان هناك من يري بأن المادة قديمة على غرار المعلم الأول، وأنّ إبن رشد قد إرتمى كلية في أحضان أرسطو فإنّ القراءة الموضوعية تجعلنا نقول أنّ إبن رشد وضع نصب عينيه محاولته التوفيقية بين عقيدته الإسلامية وبين الفلسفة اليونانية .[2]

[1] عمر فروخ، عبقرية العرب في العلم والفلسفة، منشورات المكتبة العربية، ط3، لبنان، دتـــ، ص158.

[2] إبن رشد، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، تقديم وتعليق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1،ص66ومابعدها

ذلك نجده يقول بالقدم من جهة ولكنه لا يسهو عن حياته الروحية إذ يقول بالحدوث من جهة أخرى والدليل على ذلك العودة إلى النصوص باعتبارها المرآة الحقة والصادقة التي تعكس فعلا ماهية وكنه الأفكار والقراءة العقلانية الرشدية للشريعة الإسلامية. فهاهنا هو يقول على سبيل المثال في فصل المقال: "**فإن ظاهر الشرع إذا تصفح طهر من الآيات الواردة ففي الأنباء عن إيجاد العالم أن صورته محدثة بالحقيقة، وأن نفس الوجود والزمان مستمر من الطرفين، أعني غير منقطع**" وذلك أنّ قوله تعالي ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾ [سورة هود، الآية 8.]

يقتضي بظاهره أن وجودا قبل هذا الوجود وهو العرش والماء، وزمانا قبل هذا الزمان أعني المقترن بصورة هذا الوجود الذي هو عدد حركة الفلك.

وقوله تعالى أيضا: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [سورة فصلت، الآية 11]

يقتضي بظاهرها أن السماوات خلقت من شي كما يتضح موقف إبن رشد أكثر في كتابه (تهافت التهافت) من خلال محاورته لأبي حامد الغزالي ومفندا كلامه حول مسألة خلق العالم. فإبن رشد لا ينكر مسألة قدم العالم وأنه مخلوق، وإنما قال بالخلق الذي لم يكن دفعة واحدة، أي مسبوقا بالقدم، وإنما خلق متجددا محاولا التمييز بين معنى القدم والحدوث، فالعالم عنده قديم بذاته[1]

[1] إبن رشد، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، تقديم وتعليق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1،ص66ومابعدها

بمعنى أنه في حدوث دائم واسم الحدوث أحق من اسم القدم، وهو عندما نقد دليل الحدوث فذلك يعود إلى إيمانه بقدم المادة الأولي، والذي قال به المعلم الأول أرسطو ومن ثم قال بقدم العالم ولكن قدم لا يتعارض مع وجود الصانع ويتجلى ذلك في قوله: "**أن الغزالي إلى حين دراسته لمشكلة حدوث العالم وقدمه وقيامه يتكفي الفلاسفة لقولهم بقدم العالم قد ذهب إلى أنّ أهل الحق إن كانوا على صواب في الرأي حين قالوا بحدوث العالم وقدموا لنا أدلة على وجود الله، فإن الفلاسفة قد تناقضوا مع أنفسهم حين ذهبوا إلى القول بقدم العالم وفي الوقت نفسه نجدهم يقدمون لنا أدلة على وجود الله، إذ إن القول بالقدم لا يتعارض فيما يرى الغزالي مع محاولة التدليل على وجود الله**"[1]

لا يمنكم فهم موقف إبن رشد من قدم العالم إلاّ بمعرفة موقف المعلم الأول أرسطو باعتباره الخلفية التي ينطلق منها الفكر الفلسفي لابن رشد ومن هنا يطرح التساؤل التالي:

- هل قراءة إبن رشد مثلا لمسألة قدم العالم قراءة عقلانية في حدود الشريعة؟
- أم أنه ارتمى كلية في أحضان المعلم الأول أرسطو وتنكر لجانبه الروحي؟
- أم حاول التوفيق بين إعجابه بفلسفة المعلم الأول ورأيه في هذه المسألة "قدم العالم" وبين عقيدته السمحاء.

المعروف بأن أرسطو يقّر بالحقيقة التالية وهي أنه لا يمكن بل يستحيل أن يوجد شيء من العدم، وبأن يتحول الوجود إلى عدما، والعدم إلى وجودا، وعلى هذا الأساس من المعقول إننا نري المعلم الأول يقّر بقدم المادة وأزليتها ومن هذه المادة الأولى أو الهيولي تكونت المواد المختلفة والأجسام والتناسبات. وهذا يعني أن فكرة أو بالأحرى

[1] محمد عاطف العراقي، الحس النقدي عند إبن رشد، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مجلة عالم الفكر، العدد الرابع، 1999، ص85

مسألة الخلق التي تكلمت عنها الديانات السماوية لا وجود لها أصلا في القاموس الأرسطي.

"**فالخلق لا معنى له عند أرسطو لأن المادة عنده قديمة، والحركة قديمة، ولذا فمن المستحيل أن يكون العالم قد وجد بعد إن لم يكن موجودا لأنّ الإيجاد حركة والحركة قديمة**"[1]

لقد وضع إبن رشد بعدا آخر نصب عينيه ألاّ وهو محاولة التوفيق بين عقيدته الإسلامية وبين فكر وفلسفة المعلم الأول أرسطو، فهو يقول من جهة بقدم العالم سالكا فكر أستاذه ومن جهة أخرى يقول بالحدوث، ونستشف ذلك في كتابه (تهافت التهافت) من خلال محاورته لأبي حامد الغزالي، ومفندا كلامه حول مسألة خلق العالم، فإبن رشد لا ينكر مسألة قدم العالم وأنه مخلوق، وإنما قال بالخلق الذي لم يكن دفعة واحدة، أي مسبوقا بالعدم، وإنما خلق متجدد، محاولا التمييز بين معني القدم والحدوث، فالعالم عنده قديم بذاته، بمعني أنه في حدوث دائم، واسم الحدوث أحق من اسم القدم.

"**إنّ الغزالي حين دراسته لمشكلة حدوث العالم وقدمه وقيامه بتكفير الفلاسفة لقولهم بقدم العالم، قد ذهب إلى أن أهل فإن إذا كانوا على صواب في الرأي حين قالوا بحدوث العالم وقدموا لنا أدلة على وجود الله، فإن الفلاسفة قد تناقضوا مع أنفسهم حين ذهبوا إلى القول بقدم العالم وفي الوقت نفسه نجدهم يقدمون لنا أدلة على وجود الله، إذ أن القول بالقدم يتعارض فيما يري الغزالي مع محاولة التدليل على وجود الله**".[2]

---

[1] محمود قاسم، إبن رشد وفلسفته الدينية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، مصر، 1969، ص164-165.

[2] محمد عاطف العراقي، الحس النقدي عند إبن رشد، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مجلة عالم الفكر، العدد الرابع، 1999، ص85.

ويقول أيضا: "**إن تعرض أبي حامد الغزالي إلى مثل هذه الأشياء على هذا النحو من التعرض لا يليق بمثله، فإنه لا يخلو من أحد الأمرين: إما أنه فهم هذه الأشياء على حقائقها فساقها في كتاب تهافت الفلاسفة على غير حقائقها، وزلّ من فعل الأشرار، وإما أنه لم يفهمها على حقيقتها فتعرض إلى القول فيما لم يحط به علما، وذلك فعل الجهال، والرجل يجل عندنا عن هذين الوصفين، ولكن لابد للجواد من كبوة، فكبوة الغزالي وصفه هذا الكتاب ولعله لجأ إلى ذلك من أجل زمانه ومكانه**".[1]

ولذلك كان إبن رشد يرى بأنه من اللامعقول أن ننفي بأن الكون لم يخلق من شيء أو بالأحرى من عادة، وإن كان العقل البشري قاصر عن إدراك ذلك إلاّ أنّ إبن رشد وفي كتابه (فصل المقال) نجده قد استهل دليلين للبرهنة على عدم التناقض بين القول بقدم العالم وحدوثه وهما:

- دليل العناية
- دليل الاختراع

إنّ دليل العناية أولى له أهمية خاصة لكونه متعلق بالوجود وبدء الإنسان لأن جميع الموجودات موافقة لوجود الإنسان وهذا دليل على عنايته بالوجود بما فيه أرقى الأنواع ألا وهو الإنسان. ومن جهة أخرى موافقة الإنسان هي في الحقيقة ضرورة لأنها وجدت من قبل فاعل قاصد لذلك بهدف التوافق بين الموجودات والإنسان بإعتباره خليفة الله في الأرض.

[1] محمد عاطف العراقي، الحس النقدي عند إبن رشد، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مجلة عالم الفكر، العدد الرابع، 1999، ص85

إنّ دليل العناية في اعتقادي مما تميز به إبن رشد عن غيره، بل ومن إبداعه مستندا إلى نفس السلاح الذي استهله الغزالي والمتكلمون وهو الكتاب العزيز كما يسميه هو، من ذلك قوله تعالى ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [سورة يس، الآية 33-35]

يقول محمود قاسم: "**إن إله إبن رشد هو الله سبحانه، وهو إله يخلق العالم وكل ما يحتوي من كائنات، وهو يسيطر على هذا العالم الذي خلقه ويمسكه ويحفظ عليه وجوده. ولا تفتر عنه عنايته لحظة واحدة إذ لو انفك عن العناية به لانعدم ضربة واحدة وفي غير زمن أيضا على حد ما يقول الكندي فيلسوف العرب**"[1]

إنّ "**إبن رشد**" ولكونه فيلسوف يؤمن بالعقل ويقر بأنّ الطبيعة وما يحدث فيها ليس فيه شيء من الصدفة والعبثية لأنّ هناك علة فاعلية وغائية ورائها تنظمها وتوجهها، وكان إبن رشد قد وضح في كتابه **(فصل المقال)** أنه من أراد أن يعرف الصانع عليه بالعودة إلى المصنوعات والموجودات، فكلما كانت المعرفة بصنعتها أتّم كانت المعرفة بالصانع أتّم. [2]

هذا الصانع والمخترع والموحد لله هو الذي قال للإنسان والطبيعة كونا فكانا، لقد أقرّ إبن رشد أن الشرع قصد معرفته للعالم أنه مصنوع لله تعالي، ومخترع له، وأنه لم يوجد عن الإتفاق ومن نفسه.

ولذلك نجده يرى مذهب الأشاعرة وطريقته ليست من الطرق اليقينية الخاصة بالعلماء، ولا هي بالطرق العامة المشتركة للجميع، بل طريق الشرع بسيط غير معقد،

---

[1] محمود قاسم، الفيلسوف المفتري عليه إبن رشد، ص136-137.

[2] القاضي أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد، فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة وحكمة من الاتصال، تقديم ألبير نصري نادر، دار المشرق، ط2، بيروت، 1989، ص24.

مكون من مقدمات قليلة نتائجها قريبة من مقدماتها المعروفة بنفسها. هذا الطريق البسيط المعترف به عند الجميع هو نفس الطريق الذي يبرهن به على وجود الخالق، ألا وهو دليل العناية. [1]

وهذا يعني بطبيعة الحال أن هذا الدليل في ماهيته قائم على أساس أن جميع أجزاء العالم من كواكب وظواهر وأزمنة وغير ذلك موافقة للإنسان والحيوان والنبات، وهذه الموافقة لم تكن نتيجة اتفاق أو صدفة كما يرى الدهريون، ولكن تّم ذلك من قاصد قصده، ومريد إرادة، وهو الله عزّ وجلّ وهذا الدليل بدوره يقوم على أصلين:

- الأصل الأول: أن العالم بجميع أجزائه موافقا للإنسان ولوجود جميع الموجودات التي ها هنا.
- الأصل الثاني: أن كل ما يوجد موافقا في جميع أجزائه، فعل واحد ومسدد نحو غاية واحدة فهو مصنوع ضرورة.

فينتج عن هذين الأصلين بالطبع، أن العالم مصنوع وله صانع. فدليل العناية هو أشرف الدلائل الدالة على صنع الصانع. [2]

وللبرهنة أكثر حاول إبن رشد إثبات نظريته فتطرق إلى السببية فيكاد يكون موضوع السببية هذا بمثابة المقياس الفلسفي السليم الذي يمكن به ترتيب فكر هذا الفيلسوف أو ذاك، ومن ثمة تحديد إتجاهه ومذهبه كما أنه إذا كان التفكير الديني يصدر أساسا عن (الإيمان) فإن التفكير الفلسفي يتقيد بالمنطق والعقل ومبادئه، ومنها مبدأ السببية هذا الذي يرتكز عليه أساس العلم.

---

[1] إبن رشد، مناهج الأدلة في عقائد الملة، تقديم وتحقيق محمود قاسم، ط4، القاهرة، 1964، ص193-194.

[2] المرجع نفسه، ص195.

4- مسألة السببية:

هذه السببية التي تعني أن جميع الظواهر الطبيعية مقيدة بشروط معينة اقتضت وجوده، فبوجودها يوجد الشيء وبارتفاعها يرتفع الشيء والذي لا غرور ولاّ عجب أنّ نجد فيلسوف قرطبة "إبن رشد "يريد تفسير السببية وفق منظور فلسفي عقلاني وعلمي وديني. وإذا كان هناك من تجاهل السببية مرجعا حدوث الظواهر إلى القدرة الإلهية منكرا بذلك وجود علاقة سببية بين الظواهر، إبن رشد وعلي النقيض من ذلك يقر بوجود علاقة سببية ضرورية بين مختلف الظواهر لأن ما يحدث في الوجود مصدر الوجود ذاته، وليس خارج الوجود.

ولعل السجال الذي دار بينه وبين المتكلمين بشكل عام والغزالي بشكل خاص، واتهامهم له بالخروج عن النص والصواب، والتنكر لروحه هو الذي يوحي لنا بمجموعة من الأسئلة جاءت كالآتي:

- ما السببية عند ابن رشد؟ وما هو تصوره لها؟ وما موقفه منها؟
- أو بطريقة أخرى: هل ترجع السببية إلى أنّ هناك سببا ومسببا، علّا ومعلولا بين الظواهر؟ أم أن الأمر ليس كذلك؟ وبالتالي هناك قوة خفية مجهولة تفعل فعلتها في حدوث الظواهر ولا علاقة للطبيعة ولإرادة الإنسان بها؟

في البداية أو من الضروري التعريف بمسألة السببية: فالسببية في صورتها البسيطة تتمثل في أنّ لكل حادث سبب،[1] ومن ثمة فالسببية تتنافى والصدفة، بل هي نظام صارم دقيق يقتضي بأنّ لا حركة بدون محرك، وبأن الطبيعة نظّاما حينما لا يمكن أن تحيد عنه، وأن الطالب الذي ينجح في الامتحان يرجع سبب ذلك إلى

[1] إبن رشد، مناهج الأدلة في عقائد الملة، تقديم وتحقيق محمود قاسم، ط4، القاهرة، 1964، ص193-194.

[1] المرجع نفسه، ص199.

الاجتهاد، والذي يرسب سببه يكّمن في تهاونه وكسله، والشخص الذي يغرق في البحر لا يعرف فن السباحة، وأنّ النباتات اليابسة تعود إلى الجفاف...

وإذا كان رجال اللاهوت يرجعون أسباب الحوادث إلى قوة خفية تؤثر في الظواهر الطبيعية تأثيرا مستمرا، مغضين البصر عن الأسباب القريبة الموضوعة في الطبيعة، فإن العلماء بدأوا يدرسون العلل القريبة التي تكمن وراء الظواهر نفسها، ويتحررون من البحث عن الأسباب الأولي إلى الاصطدام بين سيارتين سببه السرعة المفرطة أو فقدان الوعي.

لا يجب أن يغيب على أذهاننا أن إبن رشد تأثر بالمعلم الأول إلى حد بعيد إلاّ أنّه لم ينصّهر في بوتقته، فقد وافقه فيما وافقه، واختلف معه في العديد من المسائل، إلّا أنّه كانّ يقّر بأنّ كل ما يحدث في الوجود مصدره الوجود ذّاته لأنّ "**العقل ليس شيئا أكثر إدراكه بالموجودات بأسبابها وبه (أي هذا الإدراك) يقترف عن سائر القوى المدركة فمن رفع الأسباب فقد رفع العقل**".[1]

وتجدر الإشارة هنا أن البعض قد استغل إقرار إبن رشد بالسببية الأرسطية ذريعة لشن هجوم كاسح عليه إلى درجة تكفيره مغضين البصر عن مختلف العلوم الشرعية التي تلقاها فيلسوف قرطبة في مرحلة الصبا إبتدءا بالقرآن الكريم، وعلم أصول الفقه وممارسته لمهنة القضاء، وهذا يعني أنه إذا كان إبن رشد يقّر بالعلة الأرسطية وهي (علة غائية) فهو أيضا يتكلم عن (علة فاعلة) أولى كمصدر للكون وذلك أن الله حسبه أوجد الموجودات بأسباب سخرها من الخارج، وبأسباب أوجدها في ذوات تلك الموجودات، فها هو يقول "**من نفي ذلك أبطل حكمة الله ومن أظلم ممن أبطل الحكمة وأفترى على الله كذبا**".[2]

---

[1] إبن رشد، تهافت التهافت، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، جزء2، ص785.

[2] إبن رشد، مناهج الأدلة في عقائد الملة، تقديم وتحقيق محمود قاسم، ط4، القاهرة، 1964، ص90

وهو بذلك يشير على اختلافه مع الغزالي هذا الأخير الذي كان يقول: "**ليس الجزء سببا للموت، ولا الكل سببا للشبع، ولا النار علة الإحراق، لكن الله تعالي يخلق الإحراق والموت والشبع عند جريان هذه الأمور، لا بها**".[1]

وكذا دليل على إقراره بالسببية الطبيعية التي أوجدتها العلة الأولي في مختلف الموجودات والظواهر، أو الجوهر الأول (الله) في الكون، ومن يحاول إنكارها يكون قد أنكر العلة الأولي الفاعلة، وفي ذلك يقول إبن رشد "**فلو لم يكن الموجود موجودا فعل يخصه لم يكن له طبيعة تخصه، لمّا كانّ له اسم يخّصه ولا حد، وكانت الأشياء كلها أشياء واحدة** ".[2]

ويقول أيضا: "العالم لا يستغني عن البناء بعد اكتماله، بينما الفاعل الإلهي أشرف وأدخل في باب الفاعلية لأنه يوجد ذلك المفعول ويحفظه باستمرار"[3]

إن الموجودات عند إبن رشد قسمان: جواهر وأعراض

فأمّا الجواهر فلا يوجدّها إلاّ الله.

وأمّا الأعراض فتتولد من الأسباب الطبيعية المقترنة بالجواهر.

فإذا كان الله قدّ خلق الشجرة، وأنّ الإنسان الذي غرسها، وبعدها سقاها بالماء ورعاها، فهذا يعني أنّ الأسباب الطبيعية تقتصر فقط على الأعراض فقط دون الجواهر.

[1] عبد الحميد خطاب، الغزالي بين الدين والفلسفة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1956، ص512-514.

[2] إبن رشد، تهافت التهافت، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، جزء2، ص528.

[3] المرجع نفسه، ص428.

هذه الجواهر التي هي من اختصاص الله، وإذا كان الغزالي والأشاعرة يرفضون أي واسطة بين الله ومخلوقاته، ولا يقبلون إلا الله سبحانه وتعالي فاعلا حقيقيا ووحيدا، لأنه خلق العالم بسلطانه المطلق مصداقا لقوله جلاّ وعلاّ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [سورة إبراهيم، الآية 32.]

وهذا مخالف لما نلاحظ في الطبيعة وطبيعة الموجودات، ولقوانين الطبيعة في ذاتها. ولهذّا نجّده يقول فيما يناقش الأشاعرة: "**فماذا يقولون (أي الأشاعرة) في الأسباب الذاتية التي لا يفهم الموجود إلا بفهمها فإنه من المعروف بنفسه أنّ للأشياء ذوات وصفات هي التي اقتضت الأفعال الخاصة بوجود موجود وهي التي من قبلها ذوات الأشياء وأسماؤها وحدودها**".[1]

وهذا يعني أنّ السببية التي يقصدها إبن رشد هي تلك الأسباب الذاتية، مادام للأشياء تلك الخواص الذاتية الخاصة بالأفعال والحركات. وإن كان الله هو العلة الفاعلة الكلية والإرادة المطلقة.

وصفوة القول أن إبن رشد أقرّ بالسببية الطبيعية التي نلاحظها ونشاهدها في الواقع، إلّا أنّ هذا لم يجعله يسهو أبدا عن العلة الفاعلة. والدليل على ذلك استهلاله لدليلين إسلاميين هما دليلي (**الغاية والإختراع**)، حيث كان يهدف من خلالها إلى إقناع الغير فقط وتوضيح استغلال الدين عن الفلسفة "**فالفلسفة لا يمكنها أن تكون بديلا عن الدين، والدين لا يمكنه أن يكون بديلا عن الفلسفة**" لكن هدفها واحد وهو الكشف عن السبب الأول وهو (**الله**).[2]

---

[1] إبن رشد، تهافت التهافت، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، جزء2، ص782

[2] القاضي أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد، فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة وحكمة من الإتصال، تقديم ألبير نصري نادر، دار المشرق، ط2، بيروت، 1989، ص63.

يقول إبن رشد: "**ينبغي أن نعلم مقصود الشرع إنما هو تعليم العلم الحق والعمل الحق. والعلم الحق هو معرفة الله تبارك وتعالى وسائر الموجودات على ما هي عليه**".[1]

وهذا يعني أنّ استقرار مختلف الموجودات في هذا الوجود سيدرك لا محالة العناية الإلهية لها وللكون كله باعتباره الموحد والخالق له فالموجودات تدل على الصانع لمعرفة صنعتها وكلما كانت المعرفة بصنعتها أتم كانت المعرفة بالصانع أتم. وعليه فإن إبن رشد لا يرى أي خلاف أو تعارض بين إيمانه بالسببية الطبيعية وبين إيمانه بالعلة الفاعلة الأولي (الله) وبالتالي لم يكن يخشى على إيمانه ولّا على عقيدته وقد صدّق محمد عمارة حينما قال: " لقد كان فكر إبن رشد في هذه القضية إسلاميا خالصا."[2]

ولعل اختلاف منهج إبن رشد عن الغزالي والمتكلمين هو الذي جعله يرى بأن ما يحدث في الوجود سببه في الوجود ذاته، فمنهجه برهاني عقلي في حين أنّ الغزالي جدلي صوفي.

---

[1] محمد عابد الجابري، الدراسة الفلسفية في المغرب والأندلس، ندوة إبن رشد ومدرسته في الغرب الإسلامي، جامعة محمد الخامسة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1981، ص131.

[2] محمد عمارة، في التنوير الإسلامي إبن رشد بين الغرب والإسلام، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1997، ص71.

خلاصة

ان أول ما استهل به كلامه ابن رشد هو نزع الغموض حول الفلسفة وبتعريفها انها الطريق الموصل الي المعرفة الحقة والي الحقيقة. فند ابن رشد ينطلق من ايمانه بالعقل مبررا ان استعماله يكون في الدفاع عن الشريعة، فابن رشد اعتبر ان استعمال العقل ودراسة الفلسفة والاجتهاد والتأويل كلها من صميم الشريعة الاسلامية. فلفلسفة هنا هي خادمة للشريعة أو هي "الاخت الرضيعة للشريعة". فلعقل عند ابن رشد مهمته تكمن في فهم العقيدة أو الشريعة التي تتضمن في طياتها المحكم والمتشابه هذا الاخير الذي كان امرا مطلوبا وحتميا في فهم القضايا الفلسفية والدينية ولا يكون الا من خلال الاعتدال والوسطية اي العقل من جهة والعقيدة من جهة اخرى وهذا من اجل بلوغ الحقيقة، إضافة الي مختلف المسائل التي اختلف فيها المفكرون والفلاسفة كمسالة الجوهر الاول التي قسموا فيها الي فريقين "المؤمنون و الملحدون" الفئة الأولى مسالة الجوهر الأول لديها هي طبيعية وبحكم الايمان فان هذه الظواهر هي طبيعية وبالتالي لا يمكن البحث فيها لا بالحواس ولا بالعقل، أما الفئة الثانية هي لا تؤمن بالجوهر الأول مبررين ذلك في ان ما يحدث في الوجود سببه أسبابا وعلل موجودة في الوجود وليس خارج عنه .اما مسالة قدم أو حدوث العالم ابن رشد وضع طالما نصب عينيه محاولته التوفيقية بين عقيدته الإسلامية وبين الفلسفة اليونانية وصولا الي السببية.

الفصل الثالث:

أثر العقلانية الرشدية على الفكر الإسلامي والغربي

1.عند المسلمين.

2. عند الغرب.

تمهيد

لا شك أن إبن رشد عقل فلسفي مميز، ولفلسفته أثر كبير على الساحة الثقافية العربية الإسلامية والعالمية ولنصوصه الفلسفية أهمية كبرى في بناء نظام معرفي وفلسفي نقدي وعقلاني مميز جذبت نحو فلسفته الكثير من الكتاب والدارسين والمفكرين، وهذا يتجلى بوضوح من خلال الدراسات والمؤلفات التي كتبت عن ابن رشد والاهتمام الكبير لفلسفته ومنهجه الفكري، ويكفيه فخرا أنه قسم الفلسفة العربية و الإسلامية إلى مرحلتين وكان الفيصل بينهما ابن رشد، مرحلة ما قبل ابن رشد ومرحلة ما بعده، ولعل الوهن الفكري والفلسفي الذي أصاب الواقع والثقافة العربية الإسلامية فيما بعد ابن رشد، ليأتي الدور العالمي للثقافة الأوربية ونهضتها لاهتمام بالفكر والمعرفة والفلسفة عموما، وقراءة ابن رشد وتبني أفكاره ومنهجه وأطروحاته تحديدا ففي هذا الفصل حاولت الوقوف على أهم المظاهر الفكرية التي تعتبر شروط لتحقيق النهضة ومن خلال اعتماد ابن رشد على العقلانية التي تنطلق من الإقرار بأن ما يمكن أن يعرفه العقل لا حد له ولا حصر له، وهذا يستند إلي أنه جعل العقل في أعلى المراتب وأن صاحبه خصّ بالكمال والتمام.

ولهذا فإن فلسفة ابن رشد فلسفة لها راهنيتها، وهذه الراهنية تكمن في كونها فلسفة تمكنت من فتح الباب أمام الآخر أي الثقافات المختلفة ومنه فان النهضة الفكرية عليها أن تحيي وتوقظ التراث العريق وهذا من اجل إحياء ثقافة عصرية جديدة من جيل القدماء أمثال ابن رشد. وهذا ما سأتطرق إلى تحليله في الفصل الثالث ومن خلا تحليل التساؤل التالي:

- ماهو أثر العقلانية الرشدية على العالم العربي الإسلامي؟

1- أثر العقلانية الرشدية على العالم الإسلامي العربي:

يعتبر إبن رشد بجدارة فيلسوف متميز وهذا بالنظر للعضلات التي تناولها، ومختلف الأبواب الموصدة التي حاول اقتحامها رغم أنها مزروعة بالكثير من القنابل والعبوات الناسفة، والتي لم يعالجها بعض فلاسفة الإسلام بنفس الكيفية التي عالجها إبن رشد خوفا على أنفسهم وتفاديا لكل بطش واضطهاد.

لقد كان إبن رشد لا يخشى على عقيدته الإسلامية من العقل، ولا من الفلسفة، ولا من الآخر سواء كان يوناني أو مسيحي أو يهودي، " **فالحكمة ضالة المؤمن أين وجدها فهو أحق بها**"، وبذلك حاول فيلسوف قرطبة رسم معالم ثقافته التنويرية في ثقافته العربية الإسلامية.

1-عند المسلمين:

إننا إذا تأملنا الواقع المعيش وظهور بعض الحركات والتنظيمات المتحجرة، ونظرتها للدين خاصة مع انتشار مظاهر التفكير اللاعقلاني كالتفكير الخرافي والسحري ومختلف أنواع الشعوذة وحتى بعض الرقاة الذين وظفوا الدين خدمة لمآربهم، فشيدوا القصور، واشتروا المركبات الفخمة، وأصبح البعض منهم من رجال الأعمال إلى أن اكتشفت حقيقتهم واتضح بأن الدين الإسلامي منهم يراء وهذا الذي كان يخشاه إبن رشد علي أمته لأنه:" **من المآسي الثقافية العظمى أن فلسفة إبن رشد لم يكن لها أي تأثير على علماء العالم الإسلامي. ولو كان لها تأثير لكان قد أفضى إلى ظهور عصر نهضة إسلامية وعصر تنوير. بل كان قد أفضى إلى انفجار المكتشفات العلمية على غرار ما حدث في أوربا وأمريكا** " [1]

[1]مقال بول كيرتس، الحرية العقلية والعقلانية التنويرية، مجلة إبن رشد مارينور للنشر، 1998، ص202.

وعلى هذا الأساس يمكن لأمتنا العربية الإسلامية أن تهتدي إلى ما فيه الخير للعباد وللبلاد.

أما الانطواء على الذات والتزمت فلا فائدة ترجى منه سوى التفرق والتشتت. لقد كان إبن رشد على بينة من أمره، حيث ما كان يتوقعه منذ قرون نحن نعيشه الآن فعلا والدليل على ذلك أننا نجد من الناس من يهاجم الحضارة متحدثين عن الغزو الفكري في ظل العولمة، فرفضوا فتح النوافذ وتركوا الأبواب موصدة، وقبلوا بالتقوقع على الذات باسم الأصالة تارة، وبحجة الخوف من الغرب تارة أخرى.

كل هذه الأسباب تجعلنا نقول أنه من الضروري الاعتماد على العقلانية الرشدية مادام قد اهتم بتحديد الرؤية المستقبلية القائمة على أسس العقل والعلم والإيمان.

لقد كان إبن رشد يؤكد على فلسفة الانفتاح أنداك وهو لا يعلم العولمة ولا الأنترنت، ولا أي شيء مما نعرفه اليوم حيث أصبح العالم عبارة عن قرية صغيره كل شيء فيه مفتوح.

- فهل لنا مخرج غير حقيقة الانفتاح؟ وكيفية التعامل مع الآخر كما يرى إبن رشد؟

إن إبن رشد قد حدد ومنذ ثمانية (08) قرون معالم النظام الثقافي العربي الإسلامي الجديد وما علينا إلا الاستفادة منه والعمل به. [1]

[1] محمود عاطف العراقي، النزعة العقلية في فلسفة إبن رشد، دار المعارف، القاهرة، 1984، ص88.

إن أي قراءة غير موضوعية للدين ترتب عنها مظاهر التخلف والجهل والفقر وغيرها، وعلى هذا الأساس كان يطالبنا بقراءة الشريعة قراءة عقلانية أي (عقلنة الدين وديننة العقل) والعقلانية الرشدية في ماهيتها عقلانية مؤمنة تتحرك في حدود الشرع فهو لا يضيق الدين، ولا يتعداها بل عقلانيته متكاملة لا يقضي أي طرف بجمع بين العقل والوحي، فلقد استفاد الغرير من إبن رشد الذي كان يسميه الغرب (AVEIRES) (AVER2OES).

فها هو محمود قاسم يقول: " **لم يكن للفكر اللاتيني أن يعرف الفلسفة اليونانية إلا بواسطة الفيلسوف العربي إبن رشد الذي ساعد ذلك الفكر من التحرر من الكنيسة التي وقفت في وجه العقول**"[1]

ورغم ردود الفعل السلبية من رجال الدين اليهودي والمسيحي على كتابات ابن رشد الا انها كانت تدرس في جامعة باريس وجامعات العصور الوسطى الاخرى ،وظلت المدرسة الرشدية هي المهيمنة في أوربا حتى القرن السادس عشر ميلادي وقد قدم كتاب ابن رشد المشهور (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال) تبريرا لتحرير العلم والفلسفة من اللاهوت ،وبالتالي اعتبرت الفلسفة الرشدية التي انتشرت في الغرب تمهيدا للعلمانية الحديثة ونتيجة لتأثير ابن رشد الواسع في الغرب اصبح له انصار ومريدين سموا بالرشديين ولذلك فان تأثير ابن رشد الفلسفي يبدو جليا **الى** الحد الذي لا يمكن اخفاؤه وللأسف الشديد فان محاربة ابن رشد كانت من ابناء جلدته التي كانت وبالا على الامة العربية والاسلامية فلو اخذ العرب افكار ابن رشد منذ القرن الثاني عشر ميلادي لتغير التاريخ العربي برمته ولكن متقدمين كما تقدم الغرب ويذكر الباحث راكون ان سقوط الاندلس كان يوم احرقت كتب ابن رشد

[1] محمود قاسم، إبن رشد وفلسفته الدينية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، مصر، 1969، ص 42.

ونهوض أوربا كان يوم احتفى الغرب بكتب ابن رشد وبهذه المفارقة يتبادر الى اذهاننا السؤال التالي :

هل يعاد الاعتبار لهذا الفيلسوف الذي اهملت كتبه وافكاره قرونا طويلة؟"[1]

فليس من الغريب ان يلتفت العرب الي هذا الفيلسوف وفكره لبناء نهضة جديدة فلازالت افكاره صالحة ومتقدمة على الفكر السائد في الوطن العربي.

2-عند الغرب

لقد كان أثر العقلانية الرشدية واضح على الأجناس الأخرى من غير العرب أكانوا مسيحيين أم يهود فها هو أستاذ الفلسفة الشرقية بجامعة **(بون)** يقول: " **دعونا نقوم بما قام به إبن رشد، أن نعرف ثقافتنا جيدا، وأن نكون على وعي بقضايا عصرنا الاجتماعية والسياسية والثقافية وأن تكون لنا الجسارة في الاستعانة لمخزون البحث الأكاديمي الدولي، وأن تكون لنا أحكامنا الخاصة في حل القضايا وعندئذ فحتى إذا أحرقت كتبنا ستظل باقية**" [2]

لكن السؤال الذي يتبادر إلى أذهاننا هنا هو:

- لماذا لا يخافون منا ويحف نخاف منهم؟
- ولماذا لا يخشون من أفكارنا ونحن نخشى أفكارهم؟

[1]مقال لمحمد عبد المالك، تأثير ابن رشد على الغرب، مجلة الايام، 18_اوت_2018، ص25

[2]محمود عاطف العراقي، النزعة العقلية في فلسفة إبن رشد، دار المعارف، القاهرة، 1984، ص156.

كما يقول فرح أنطوان: " **والحقيقة الثابتة التي يمكن الاعتماد عليها هي إثبات إطلاع باروخ سبينوزا على فلسفة إبن رشد وتلميذه إبن ميمون وتأثرهما به إلى حد كبير**". [1]

لقد عرف ابن رشد في الغرب بتعليقاته وشروحه لفلسفة وكتابات ارسطو والتي لم تكن متاحة لفلاسفة الغرب باللغة اللاتينية السائدة في بلدانهم في العصور الوسطى وقبل عام 1100م كان عدد قليل من كتب ارسطو في المنطق هي التي ترجمت الى اللغة اللاتينية علي يد الفيلسوف المسيحي بوتيوس وبعد ان انتشرت الترجمات اللاتينية للأعمال الاخرى لأرسطو من اليونانية والعربية في القرن الثاني عشر والثالث عشر اصبح ارسطو اكثر تأثيرا على الفلسفة الاوربية المحدثة في ذلك الوقت وقد اسهمت شروح ابن رشد التي ترجمت الي اللاتينية في الغرب على ازدياد تأثير ارسطو في بلدانهم كان تأثير ابن رشد واضحا علي الفلاسفة المسحيين من امثال موسى بن ميمون وجرسونيدوس.

وما كان للغرب أن يكون لولا شرح عالمنا القرطبي المسلم أن يتبنى التراث الأرسطي كإحدى السبل للخروج من ظلمة القرون الوسطى وسيطرة رجال اللاهوت، حين اقتصرت الثقافة على أفكار الكنيسة باعتبارها وحيا إلهيا لا يقبل الجدل .

[1] فرح أنطوان، إبن رشد وفلسفته، قدم لها أندونيس الفكرة، دار الإشعاع، مصر، دت، ص158.

ويقول في هذا الصدد د اشرف حسن منصور في مقال له بعنوان (ابن رشد و سبينوزا وعصر التنوير الأوربي) : "**إن عقلانية ابن رشد هي المستبقة لعقلانية عصر التنوير، وهي السلف المباشر لها** "

ويقول جورج سارتون: " **إن إبن رشد كان من أكبر فلاسفة الإسلام، وقد أثر بفلسفته أكثر من أرسطو نفسه، وبدون ريب فإن إبن رشد هو مؤسس الفكر الحر، فقد فتح أمام علماء أوربا البحث والمناقشة ... لذا فإنه أخرجهما من ظلمات التقليد إلي نور العقل والتفكير** " [1]

- هذا الذي أخرج أوربا بفلسفته التنويرية أليس بقادر أن يخرج أمته ويجعلها تتبوأ مقعدها الحضاري أيضا؟
- أم أن المشكلة ليست في فلسفة إبن رشد، ولكن في الإنسان العربي المسلم ذاته لكونه لم يستوعبها ولم يستثمرها؟

لقد كان إبن رشد يعي جيدا بأن الدين الإسلامي دين انفتاح وليس انغلاق فهو كما يقول الدكتور ربيع ميمون:" **هو صاحب فكر جامح نلمس فيه تفتح المجتهد وأمانة الشارح الأكبر، وعقلانية الفيلسوف الأصيل، وموضوعية العالم الممتاز وكونية الباحث، وإنسانية الرجل العظيم ويقين المؤمن المطمئن** "[2]

[1]سلفادور غوميث نوغاليس، تأثير إبن رشد في أوربا وتصحيح التفسيرات الخاطئة عنه، مقال ضمن مجلة الأصالة، العدد 37/36، الجزائر مطبعة البحث 1976، ص27.

[2]ربيع ميمون رحمه الله، القيم السائدة في تفكير إبن رشد وأبعادها، الذكرى المئوية الثامنة لوفاته، 8/3ذو الحجة– 1393ه، الموافق لـــ 9/4نوفمبر 1978، ج1، ص325.

وصفوة القول أن إبن رشد كان يعي بأن العقيدة الإسلامية واسعة تدعو إلى التعامل مع الآخر بالحكمة والموعظة الحسنة "**وجادلهم بالتي هي أحسن** " **وكذلك قوله تعالى:** "**وكذلك جعلناكم امة وسطا**" .وقد صدق أحمد فهمي حين قال: "**لقد اتسع الدين الإسلامي لشتى الآراء ومختلف المذاهب والمشارب، و ما كان الدين الإسلامي يحجر على الناس طريق فكرهم وهو الذي دعاهم إلى التفكير وتحفيزهم إلى البحث والتدريس والتنقيب** "[1]

ولهذا فإن العقيدة الإسلامية تدعو إلى الوسطية أي وسط بين التسليم الساذج والتقليد الأعمى في العقائد وبين الغلو والتوغل بالعقل لإدراك كل شيء حتى الألوهية فهي تنهي عن التقليد الأعمى

[1]تعليق أحمد فهمي محمد، عن الملل والنحل للشهرستاني، ج3، التعليق رقم1، مكتبة الحسين التجارية، ط1، 1368ه/1948، ص43.

خلاصة

إن أي قراءة غير موضوعية للدين يترتب عنها مظاهر التخلف والجهل والفقر وغيرها، وعلى هذا الأساس كان يطالبنا ابن رشد بقراءة الشريعة قراءة عقلانية أي "عقلنة الدين وديننة العقل" فالعقلانية الرشدية في ماهيتها عقلانية مؤمنة تتحرك في حدود الشرع فهو لا يضيق الدين، ولا يتعداها بل عقلانيته متكاملة لا يقصي أي طرف بالجمع بين العقل والوحي، ولهذا فإننا نجد ابن رشد قد سبق زمانه في طرحه لمختلف القضايا وهو في نفس الوقت مؤمن بان العقيدة الإسلامية ذات شمولية وواسعة تتعدي كل ما هو منغلق.

خاتمة

لعل ما يمكن قوله في نهاية هذا العمل العلمي أن فكر العقلانية الرشدية تتمثل في أن فيلسوف قرطبة قدم لأمته الإسلامية مشروعا نهضويا حضاريا لو عملت به لركبت قطار الحضارة ولتبوأت مقعدها الريادي من جديد.

أما عن النتائج التي يمكن استنتاجها من هذا العمل فيمكن القول ما يلي:

ابن رشد فيلسوف العقل، لكونه ليؤمن بقدرته على امتلاك الحقيقة، كما أن التأويل الذي قام به في الأساس يقوم على العقل أي "العقل أساس التأويل " ويمكن تلخيص ذلك فيما يلي:

1. رفض العقلانية الرشدية لمختلف أنواع التفكير اللاعقلاني.
2. كان ابن رشد يقر بالأسباب الفاعلة على أساس إيمانه بالعلم وبالسببية العلمية (الطبيعية) إذ وراء كل ظاهرة طبيعية ظاهرة طبيعية أخرى، كما أن هناك نظاما دقيقا وصارما في الطبيعة وهو نظام حتمي، لا يمكن للطبيعة ان تحيد عنه.
3. أصالة العقلانية الرشدية: يتميز ابن رشد بقدرة عالية على التركيب بين ما هو خاص وماهو عام، بحيث استطاع أن يوقف بين ما هو أصل عند أمته ابتداء بالشريعة وبين ما هو دخيل (الفكر الفلسفي اليوناني)، كما أنه لم يكن يخشى على عقيدته الإسلامية من العقل
4. العقلانية الرشدية تتحرك في حدود الشرع.

لعل كتابه الشهير "فصل المقال فيما بين الشريعة من حكمة واتصال" خير دليل على ذلك اذ يقول: "**إن الحكمة هي صاحبة الشريعة والأخت الرضيعة**" ... مع ما يقع من العداوة والبغضاء والمشاجرة وهما المصطحبتان بالطبع المتحابتان بالجوهر والغريزة...".

ذلك أن العقيدة الإسلامية تقر بالنظر العقلي علي أساس أن الإنسان خليفة الله في الأرض، وأن الله ميزه بالعقل طبقا للآية الشريفة ﴿۞وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلًا ٧٠﴾

6.صلاحية العقلانية الرشدية في مواجهة العولمة: الواقع الحالي لا يمكن مواجهته بالعودة إلى التراث فقط والبكاء على الأطلال ولكن بالتفتح على الآخر، ومعرفته معرفة حسنة، وجعل ثقافتنا ثقافة تنويرية، وهذا ما كان يدعو إليه فيلسوف قرطبة من خلال استعمال العقل واستغلاله أحسن استغلال حتى ننقذ أنفسنا وأمتنا من مظاهر التمزق والاستلاب التي يعيشها عالمنا العربي الإسلامي على حد سواء.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع.

الحديث النبوي الشريف

المصادر بالعربية:

1. إبن رشد، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، تقديم وتعليق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2002.

2. إبن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تحقيق مصطفي البابي الحلبي، القاهرة، 1960.

3. إبن رشد، تهافت التهافت، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، جزء2، ص785.

4. إبن رشد، تهافت التهافت، دار المعارف، الجزء2، القاهرة، 1965، ص 87 وما بعدها.

5. إبن رشد، فصل المقال، المكتبة المحمودية التجارية، القاهرة، 1935.

6. إبن رشد، مناهج الأدلة في عقائد الملة، تقديم وتحقيق محمود قاسم، ط4، القاهرة، 1964.

7. القاضي أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد، فصل المقال وتقرير مابين الشريعة وحكمة من الإتصال، تقديم ألبير نصري نادر، دار المشرق، ط2، بيروت، 1989.

قائمة المراجع بالعربية

8. أرنست رينان: إبن رشد والرشدية، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، د ط، القاهرة، 1957.

9. تعليق أحمد فهمي محمد، عن الملل والنحل للشهر ستاني، ج3، التعليق رقم1، مكتبة الحسين التجارية، ط1، 1368هـ/1948.

10.جميل صليبا، تاريخ الفلسفة العربية، دار الكتاب اللبناني، ط3، بيروت، 1973.

11.حسن حنفي حسنين، إبن رشد شارحا لأرسطو، مجلة مؤتمر إبن رشد، د عدد، د بلد، 1978.

12.زينب محمود الخضيري، أثر إبن رشد في فلسفة العصور الوسطى، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007.

13.عاطف العراقي، إبن رشد مفكرا عربيا ورائد الإتجاه العقلي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، دط- القاهرة، 1993.

14. عاطف العراقي، تجديد في المذاهب الفلسفية والكلامية، دار المعارف، ط4.

15.عبد الرحمان التليلي، إبن رشد الفيلسوف العالم، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، د ط، تونس، 1998.

16.عمر فروخ، عبقرية العرب في العلم والفلسفة، منشورات المكتبة العربية، ط3، لبنان، دت.

17.فرح أنطوان، إبن رشد وفلسفته، قدم لها أندونيس الفكرة، دار الإشعاع، مصر، د ت.

18.كتاب الكندي إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولي، حققه وقدمه وعلق عليه أحمد فؤاد الأهواني، دار إحياء الكتب العربية، ط1.

19.لطفي جمعة، تاريخ فلاسفة الإسلام، القاهرة.

20. محمد أركون، إبن رشد رائد الفكر العقلاني والإيمان المستنير، مجلة علم الفكر الكويتية، عدد4، الكويت 1999.

محمد عابد الجابري، إبن رشد سيرة وفكر دراسة ونصوص، مركز دراسات الوحدة العربية، د ط، لبنان، 2001.

محمد عابد الجابري، الدراسة الفلسفية في المغرب والأندلس، ندوة إبن رشد ومدرسته في الغرب الإسلامي، جامعة محمد الخامسة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1981.

21.محمد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية محنة إبن حنبل ونكبة إبن رشد، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1.

22.محمد عاطف العراقي، الحس النقدي عند إبن رشد، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مجلة عالم الفكر، العدد الرابع، 1999.

23.محمد عاطف العراقي، تجديد في المذاهب الفلسفية والكلامية، دار المعارف، ط4، 1979.

24.محمد عمارة، في التنوير الإسلامي إبن رشد بين الغرب والإسلام، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1997.

25. محمود عاطف العراقي، النزعة العقلية في فلسفة إبن رشد، دار المعارف، القاهرة، 1984.

26.محمود قاسم، إبن رشد وفلسفته الدينية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، مصر، 1969.

27.محمود قاسم، الفيلسوف المفتري عليه إبن رشد.

28.موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ترجمة حسين أثاي، مكتبة الثقافة الدينية، ط2، 1993، ج1.

المجلات:

29.ربيع ميمون القيم السائدة في تفكير إبن رشد وأبعادها، الذكرى المئوية الثامنة لوفاته، 8/3 ذو الحجة–1393ه، الموافق لـــ9/4نوفمبر 1978، ج1.

30.سلفادور غوميث نوغاليس، تأثير إبن رشد في أوربا وتصحيح التفسيرات الخاطئة عنه، مقال ضمن مجلة الأصالة، العدد37/36، الجزائر مطبعة البحث 1976.

31.عمر فروخ، عبقرية العرب في العلم والفلسفة، منشورات المكتبة العربية، ط3، لبنان، دت.

32.محمد عاطف العراقي، الحس النقدي عند إبن رشد، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مجلة عالم الفكر، العدد الرابع، 1999.

33.محمد عاطف العراقي، الحس النقدي عند إبن رشد، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مجلة عالم الفكر، العدد الرابع، 1999.

34.محمد عبد، مجلة المنار، القاهرة، 1922.

35.محمود قاسم، إبن رشد وفلسفته الدينية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، مصر، 1969.

36.مقال بول كيرتس، الحرية العقلية والعقلانية التنويرية، مجلة إبن رشد مارينور للنشر، 1998.

37.نايف بلوز، مجلة عالم الفكر، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد 27، العدد4، 1999.

الفهارس

فهرس الآيات

الآية	الرقم	السورة	
﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾	185	الأعراف	ص9
﴿... وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ... ﴿٧﴾ ﴾	07	آل عمران	ص27
﴿... كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ ... ﴿٨٨﴾ ﴾	88	القصص	ص27
﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ ... ﴿٦٤﴾ ﴾	64	المائدة	ص 27
﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾	64	آل عمران	ص28
﴿... وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ... ﴿٧﴾ ﴾	07	آل عمران	ص28
﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾	40	يس	ص30
﴿... فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ...﴿٢٥٨﴾ ﴾	258	البقرة	ص30
﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾	23	القيامة	ص30
﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ ﴾	15-14	الرحمن	ص31
﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ...﴿٥٤﴾ ﴾	54	الأعراف	ص32
﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ ﴾	16-6	النبأ	ص32

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾	32-24	عبس	ص32
﴿... أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ... ﴿١٠﴾ ﴾	10	ابراهيم	ص32
﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾	28	البقرة	ص33
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾	08	هود	ص34
﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾	11	فصلت	ص34
﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾	35-33	يس	ص37
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ ﴾	32	ابراهيم	ص42
﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾	70	الإسراء	ص57

فهرس الأعلام

1. أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد إبن رشد..... ص08
2. أبي تمام حبيب بن أوس الطائي ص09
3. أبي الطيب المتنبي ص09
4. إبن طفيل أبو بكر محمد بن عبد الملك..... ص10
5. أبو بكر محمد يحي المعروف بإبن باجة..... ص12
6. أبو مروان عبد المالك بن أبي العلاد ص12
7. محي الدين بن عربي..... ص12
8. أبي الحجاج يوسف بن طلموس..... ص12
9. أمية بن أبي الصلت ص12
10. الفيلسوف المسيحي "بوثيوس" ص14
11.توما الإكويني ص14
12.موسي بن ميمون..... ص14
13.جرسونيدوس..... ص14
14.أرسطو ص15
15.أفلاطون ص15
16.أبو نصر الفارابي ص15
17.إبن سينا..... ص17
18.أوغست كونت ص29
19.أبو العتاهية ص30
20.كانط..... ص33
21.أبي حامد الغزالي ص34
22.الأشاعرة ص43
24.جورج سارتون ص52

قائمة المصطلحات

L'interprétation	التأويل
substance	الجوهر
pied	القدم
évènement	الحدوث
De causalité	السببية
raison	السبب
Rationalité	العقلانية
théologie	اللاهوت
article	المادة
moteur	المحرك
Présence	الوجود

فهرس المحتويات

شكر وتقدير

إهداء

مقدمة.....**أ-د**

الفصل الأول: أصول فلسفة ابن رشد

تمهيد **07**

1- المرجعية الإسلامية لابن رشد 08

2- المرجعية اليونانية عامة..... 13

3- المرجعية الأرسطية خاصة 15

خلاصة..... **21**

الفصل الثاني: القراءة العقلانية الرشدية للمسائل العقائدية الايمانية

تمهيد **23**

1- مسألة التأويل..... 25

2- مسألة الجوهر الأول 29

3- مسألة قدم العالم..... 34

4- مسألة السببية 41

خلاصة..... **46**

الفصل الثالث: مظاهر العقلانية الرشدية على العالم الإسلامي والغربي

تمهيد 48

1-عند المسلمين 49

2-عند الغرب..... 52

خلاصة..... 56

خاتمة..... 59

قائمة المراجع..... 64

فهرس الآيات 67

فهرس الأعلام 68

قائمة المصطلحات 69

فهرس المحتويات..... 70-71